الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

عقلاء المجانين في الأدب العربي القديم
أبو وهب بهلول بن عمرو بن المغيرة - نموذجا-

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: لغـــة و أدب عـــربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:
- خديجة سعودي
- سارة بن عيسى

إشراف الدكتور:
إبراهيم لقان

السنة الجامعية: **2019/2018**

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من ربياني صغيرة وعلماني

الحرف الأول أبي

الغالي الذي زرع فيا حب طلب العلم

والمثابرة عليه «بشير»

وأمي الحنونة التي طالما عطفت علي

«نوارة بن كواشي»

- وإلى إخوتي وأخواتي وأولادهم

وأزواجهم وخاصة دنيا و فاتح كواشي.

- وإلى صديقاتي ورفيقات دربي اللواتي ساعدنني

على إنجاز هذا البحث.

سارة بن عيسى

شكر وتقدير

بعد إتمام هذا البحث أتقدم بجزيل الشكر

والعرفان للدكتور الفاضل «إبراهيم لقان»

الذي واكب هذا العمل منذ بدايته إلى نهايته،

والشكر موصول أيضا إلى الأستاذ «طارق زيناي»

الذي وقف بجانبنا وساعدنا وزودنا بالمصادر والمراجع

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة

المناقشة الذين تفضلوا بقبول تقييم هذا العمل

فجزاهم الله خيرا.

سارة بن عيسى.

Pixiz

شكر و تقدير

شكر وتقدير خاصان أتقدم بهما للأستاذ الفاضل "إبراهيم لقان"

الذي كان لنا السند العلمي والمعرفي

بنصائحه وتوجيهاته القيمة التي ساعدتنا

في إنجاز هذا البحث فوفقه الله على ذلك ورعاه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الكريم "الجيلالي جقال"

على وقوفه معي فجزاه الله خيرا وسدد خطاه.

وجزيل الشكر لأختي الطالبة "جهيدة سعودي"

لدعمها ومساندتها الفكرية والعلمية لي في هذا العمل.

خديجة سعودي.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع لأمي الغالية

وروح أبي الطاهرة

وأخي الحبيب زين العابدين سعودي

ولكل من ساهم في إنجاز هذا العمل منذ أن كان فكرة

حتى قام واستوى على حاله هذه

خديجة سعودي.

مقدمة

الأدب أجناس وأنواع؛ فمن أجناسه الملحمة والقصة والرّواية والمقال وغير ما ذكر كثير ومن الأنواع الزهد والتصوف الحكمة والوعظ، وماهو مغمور من الأنواع أدب عقلاء المجانين.

ونظرالأهمية هذا الموضوع في إبراز القيمة العلمية لهذا النوع المهمش من الأدب ومعالجة بعض الآراء النقدية التي دارت حوله مع التذكير بمحاسنه ودوره في إحياء الوعي الإنساني وبيان أثر العوامل الدينية والهوى في إنتاج عقلاء المجانين الأدبي والتنويه بما تحمله آثارهم من أخبار سياسية واجتماعية في طياتها ورمزيتها–وإسهاما منا في إجلاء هذه الظاهرة الأدبية–رأينا أن يكون بحثنا موسوما ب: **عقلاء المجانين في الأدب العربي القديم "أبو وهب بهلول بن عمرو بن المغيرة نموذجا"**.

لإثراء الموضوع السابق طرحنا التساؤلات الآتية: من هو بهلول (أبو وهب بن عمرو بن المغيرة)؟ وفيم تجسد أدبه؟ وما هي القيمة العلمية لهذا الأدب في عصره؟ وما مضامين هذا الأدب؟ وهل تجسدت فيه سمات الفن الأدبي؟

ويرجع اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب موضوعية وأخرى ذاتية.

أما الموضوعية فـ:

أولها:جدة الموضوع نسبيا والحاجة إلى البحث فيه وتبسيطه، وفتح مستغلقه للتنويه إلى قيمته الأدبية والعلمية.

ثانيها: تناسبه مع الحياة الاجتماعية الحالية وتقاطعه معها في عديد من النواحي.

ثالثا:تتبع الأعلام الذين لم يجدوا حظّا وافراً في الأدب العربي.

أما الأسباب الذّاتية فتتجسد في:

أولها: إثبات أن غرباء الناس ليسوا بالضرورة مجانين بل قد يكونون أعقل مما يبدو.

ثانيها: إبراز حنكة عقلاء المجانين في إفحام الظالمين، وكشف وجوههم الحقيقية.

ثالثها:التنبيه إلى أنّ قضية الهوى الشائعة حاليا الممتدة إلى القديم لم تزد على أن تكون خطأ وهاجسا يعيق إعمال العقل والتدبر.

ولم نكن سباقين لدراسة هذا الموضوع فقد تناوله بشكل آخر ابن حبيب النيسبوري في كتابه عقلاء المجانين قديما، وبعض الأدباء المحدثين كجبران جبّور في كتابه عقلاء المجانين، ولبيبة خمار في مقالها خطاب عقلاء المجانين،وغيرهم.

وغاية هذا البحث هي التوعية بوجود مواضيع متنوعة في الأدب العربي القديم، والتحفيز على معالجتها مع بيان فضل الآداب المغمورة على الآداب المشهورة، وفضل عقلاء المجانين على الأدباء الآخرين، وهدف آخر هو إبراز دور التظاهر بالجنون للخلاص من تعسف السياسة وضيق الأحوال الاجتماعية.

واعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الثقافي لأنه الأنسب لدراسة هذا الموضوع حيث يبرز دور الطبقة المثقفة التي أظهرت لنا مدى استيعابها لأحوال المجتمع السياسية والدينية فتبنت الجنون ليساعدها على نشر ثقافة الوعي والحرية واستعنا بمناهج أخرى هي المنهج النفسي الذي يبرز لنا مدى معاناة هذه الفئة بسبب الضغوطات والقيود التي تفرضها الحياة اليومية، والمنهج الوصفي إذ يمكننا من تتبع جوهر هذه الظاهرة. كما اعتمدناالمنهج الفني في إبراز خصائص لغة وأسلوب أدب بهلول.

ولانجاز هذا العمل استندنا إلى خطة بحث متمثلة في مقدمة و مدخل وفصلين.

المدخل وعنوناه ب(المجنون وعصره)عرفنا فيه ببهلول وعصره و ببعض المفاهيم المتداولة في البحث.

أمّاالفصل الأول فموسوم ب(بصمة عقلاء المجانين في الأدب العربي القديم)فقد وضعنا فيه أيدينا على الإضافات التي أضافها عقلاء المجانين للتراث الأدبي.

والفصل الثاني عنوانه (مضامين أدب بهلول بن وهب وخصائصه)فقد عالجنا فيه مضامين أدب بهلول وكذا تجليات العقلنة والجنون في سلوكه، وختمناه ببيان خصائص لغته وأسلوبه.

وأنهينا البحث بخاتمة تضمنت النتائج التي توصلنا إليها.

ولإنجاز بحثنا هذا اعتمدنا على مجهودات سابقة في هذا الموضوع أهمها:

كتاب (عقلاء المجانين) لابن حبيب النيسبوري كونه أول مؤلّف جمع فيه عقلاء المجانين وأخبارهم.

كما استعنا ب(معجم المجانين من الشعراء) لقيس كاظم الجنابي الذي أورد في كتابه بعضا من أخبار أبو وهب الصيرفي.

بالإضافة إلى مصدر (أعيان الشيعة) لمحسن الأمين الذي تحدث عن أخبار بهلول المجنون مطولا.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا العمل فكانت راجعة إلى تنافر الرأي بيني وبين زميلتي في البحث، لكن سرعان ما تجاوزنا الأمر ورجعنا إلى رأي واحد.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المميز " **إبراهيم لقان** " على مجهوداته و نصائحه في توجيه هذا العمل و تحسينه، ويسرنا كذلك أن نعترف بالجميل لمساعدينا من الطلبة الزملاء والزميلات وكذلك نشكر **المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف** الذي منحنا فرصة البحث في هذا الموضوع.وفي الختام نتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة على الجهود التي تتكبدها في تمحيص هذا البحث.

مدخل (المجنون وعصره)

1 – نظرة عامة حول العصر العباسي.

2 – المظاهر الاجتماعية والسياسية وتأثيرهما في الأدب.

3 – الأنواع الأدبية المتراجعة والأسباب المؤدية إلى ذلك.

4 – عقلاء المجانين وأدبهم.

5 – التعريف بالمجنون.

6 – مفاهيم ومصطلحات.

1- نظرة عامة حول العصر العباسي:

لقد تواطأت الأحداث الجليلة والأيام الحبالى أن تجتمع في أرقى العصور القديمة في أزهاها وأغناها، العصر العباسي، عصر الخلافة الراشدة المبجلة وحكم الدّواهي، عصر الغنى الجبّار والترف والتباهي، وحُقَّ أن يكون هذا وأكثر فقد أمتد من 132هـ إلى غاية 656هـ، حيث مثّل أطول العصور القديمة، فحدثت فيه الحادثات وتتابعت فيه الأعلام والشخصيات من خلفاء وأمراء وعلماء وأدباء وقد حُفظت أخبارهم في أجمل العبارات وأجزل التأليف، فحملت في طيّاتها أخبار العصر وعكست أحوال المجتمع على كل الأصعدة: الثقافي، الديني، العلمي، الأدبي والسياسي والاجتماعي، فلم يُدّخر جهدٌ في توثيق التغيرات التي شهدتها هذه الحقبة الزمنية وأبقتها شامخة راسخة.

2- المظاهر السياسية والاجتماعية وتأثيرها على الأدب:

ولأن الدّافع الأساسي عند كل أديب في كلّ عصر هو الأحوال الاجتماعية والسياسية فإنّ هذا ما نلمسه بشدّة في أدب العصر العباسي، ولا يقتصر هذا على الأدب فقط، إنّما يشمل جميع أنواع المعرفة، ويؤكد هذا الأستاذ أحمد مؤمن حين يقول: «إنّ تطور أي فرع من فروع المعرفة عبر التاريخ يرجع إلي الأوضاع السياسية، والاجتماعية والثقافية والدينية السائدة في ذلك العصر »[1] فهذه الأوضاع تعتبر محرك الإبداع في كل مجال وتيار في العلم والأدب فبدا هذا جليا في العصر العباسي وخاصة الأول منه.

انفتحت العقول في العصر العباسي على كثير من المعارف وأشتغل الناس بمختلف العلوم تعليما وتعلّما بالفلسفة والفلك، والرياضيات والطب والفقه والأدب...إلخ.

وبرز في ساحة المعرفة أعلام ومشايخ لا حصر لهم، فأبدع ابن سينا في الطب وابن رشد في الفلسفة والخوارزمي في الجبر والرياضيات، ونحن نقتصر الكلام على الأدب الذي

[1]- أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005م، ص173.

تأثر بالأحوال الاجتماعية والسياسية إلى حدٍّ بعيد. فبدت ماثلة فيه بشقيه شعره ونثره، ومن الشعراء من أبدع في وصف ما هم فيه من نعيم وجمال فحمل لواء الوصف والمدح كالبحتري الذي أبدع في مدح المتوكّل ووصف بركته، وتغنى بجمال إيوان كسرى ومن الشعراء أيضا من تجاوز الوصف والمدح إلى الحكمة من أمثال المتنبي وأبي تمام، وقد نتج عن هذا النعيم والبذخ تفشي ظاهرة المجون والزندقة كلّ ذلك أدّى إلى بروز نوع شعري آخر تتجلى فيه هذه المظاهر مثل: شعر أبو نواس، وردّاً على هذا التيار ظهر الزهد كاتجاه معاكس بريادة أبو العتاهية.

أما النثر فهو الجانب الذي تُوِّج بحمل ما فيه فائدة أكثر ومعرفة أشمل للعلوم وما ميّز العصر، فنجد الجاحظ العلم الشامخ صاحب البخلاء حين ألفه جامعاً للجد والهزل، حاملا طرائف القوم في ذاك الزّمان، فقال في مقدمة كتابه: «وقُلتَ: أذكر لي نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء وما يجوز من ذلك في باب الهزل وما يجوز منه في باب الجدِّ، لأجعل الهزل مستراحاً والراحة جماماً، فإنَّ للجدّ كدّاً يمنع من معاودته ولا بُدَّ لمن التمس نفعه من مراجعته»[1].

ومن النثار أيضا من أختار أن يُجيل قلمه في السياسة ولكن بنوع من التخفي خوفا من سلطان الخلفاء والأمراء، فكان ابن المقفع في كتابه كليلة ودمنة خير مثال على ذلك.

3- الأنواع الأدبية المتراجعة والأسباب المُؤدّية إلى ذلك:

ونجد أنّ بعض الفنون النثرية قد تراجعت وضعفت لعدم الحاجة إليها وعدم خدمتها لمقتضيات أحوال العصر العباسي، ومثال على ذلك الخطابة يقول في ذلك حسن الزيّات:

[1]- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البخلاء، تح: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، د.ت، ط1.

«فلما استوثق الأمر لبني العباس وقام الموالي بسياسة الدولة وقيادة الجيش وقلّ النضال بالسنان واللّسان ضعفت الخطابة لضعف القدرة عليها»[1].

ويريد الزيات من كلامه أنّ اختلاط الألسن أدّى إلى ضعف اللّغة العربية وتراجع الحُجَّة الدّامغة وقلَّ من يفهم غاية الخطب ومغزاها.

4- عقلاء المجانين وأدبهم:

وفي مقابل الأنواع المتراجعة التي بات تأثيرها مندساً ظهرت أنواع أدبية جديدة لم يكن لها هذا الصدى من قبل. نتيجة تنازع التيارات الدينية من شعوبية ومعتزلة ومتصوفة ولاستبداد الحكام وتحكيم السيف في كلّ ميدان فآثر كثير من الرعية التستر بثوب الجنون للتمكن من الإعراب عمّا يجوب خواطرهم ويكتنف مشاعرهم، فكان هذا السبب الأساسي في ظهور طائفة من النّاس سمُوا عقلاء المجانين لأنهم جمعوا بين النقيضين بين العقل والجنون فوصمة العقل لأن الحكمة والموعظة سرت في جلِّ أقوالهم وأنّ كلامهم كان ذو منطق وتفكرٍ.

ويقفُ شاهدا على ذلك أنّ من النّاس من كان يطلبُ مشورة عينة منهم ويسألهم في قضايا مختلفة، فحدث يوماً أن استشار رجلُ مجنونا في النساء، بعد أن كان أعرض من قبلُ عن الزواج لما لقي منهنّ من بلاءٍ، فقال له: اعلم أنّ النساء ثلاث: واحدة لك وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك، فأمّا التي لك فشّابة طرية لم تمسس الرِّجال فهي لك، وأمّا التي عليك فامرأة ذاتُ ولد من غيرك فهي تسلخ الزّوج وتجمع لولدها، وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك فإن رأت خيرا قالت: هكذا يجب وإن رأت شراً حنت إلى زوجها الأول[2]. والمواقف التي تُبيّنُ رجاحة عقول هذه الشرذمة كثيرة ومتنوعة.

---

[1]- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د.ط، د.ت.ص219 .

[2]- ينظر: قيس كاظم الجنابي: معجم المجانين من الشعراء، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص243.

أمّا جنونهم فيُردُّ إلى استنكارهم الواقع وما فيه فانسلخوا منه ومن العقل إلى الجنون «وإنّ الكثير من الذين وُصموا ووصفوا بالجنون والوسواس والجذب والعري وغيرها كانوا على قدر عال من الوعي ثم اعترتهم حالات خاصة كما تعرض لها مجنون بني عامر وخالد الكاتب وبهلول وجعيفران، وإنّ الكثير من حالات الاحساس بالجنون لدى المتصوِّفة يؤدي بهم إلى الحبِّ الإلهي والعبادة الخالصة»[1].

فالوعي والإدراك لما في المجتمع واحتمالات ما سيؤول إليه أودت بأصحاب الفهم إلى الوسواس والجنون «أُؤكد لكم سادتي بأن الإفراط في امتلاك الوعي ما هـ و إلاّ علة، عِلَّة مرضية حقيقة وتامة»[2]،إذ أن المجنون هو الذي فهم ما يجري من حوله.

ومن الناس من أغرق في الهوى فذهب عقله وجُن فحكم احساسه وعلا على قلبه فلم يبق على عقله شيئاً، إضافة إلى طائفة أخرى زهدت في الحياة وملذّاتها فاختارت التظاهر بالجنون، وأضمرت الحب الإلهي والعبادة الخالصة لم حصل في العصر العباسي من تشيع المذاهب الدينية.

ومن أولئك بهلول المجنون فمن هو؟

5- التعريف بالمجنون (أبو وهب بهلول):

أ- تعريفه ونسبه:

«بهلول بن عمرو، أبو وهْب الصيرفي المجنون، وقيل: بهلول بن عمرو بن المغيرة الكوفي وهو الأكثر شيوعاً يكنى أبا وهب»[3].

---

[1]- قيس كاظم الجنابي: معجم المجانين من الشعراء، ، ص26.

[2]- فيدور ميخائيلوفيتش دوستويفسكي: مذكرات قبو، تر: أحمد الويزي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014م، ص12.

[3]- قيس كاظم الجنابي : معجم المجانين من الشعراء، ص66.

أمّا عبارة بهلول فالدّال في ظاهرها التحامق والتغافل بينما هي تُعَبر عن الحنكة والموعظة الحسنة وكأنها أُطلقت على مدلولها بقياس مجنون في الظاهر عاقل في الباطن، كذلك لفظة بهلول تُذكر بالتفكه في تركيبها اللّفظي عميقة في معناها الدّلالي.

جاء بمادة بهل في لسان العرب أنّ «البهلول: العزيز الجامع لكلِّ خير (عن السيرافي). البُهلول: الحييُّ الكريم»[1].

ولا يخفى عنا أنّ الصِفات تجتمع في أبي وهب بهلول، رغم تلك الحركات الطائشة والصبيانية المجنونة.

ب- مولده ونشأته:

وُلد بهلول بالكوفة في العراق ونشأ فيها، عاش في القرن الثاني هجري ولم تذكر كتب السير والأعلام سنة مولده بالتحديد، «كان يتشيع، فقال له إسحاق بن الصّباح: أكثر اللهُ في الشيعة مثلك، قال:بل أكثر الله في المرجئة مثلي، وأكثر في الشيعة مثلك»[2].

عاصر بهلول الإمام جعفر بن محمد الصادق فكان من خاصة تلامذته وقد عُدّ من نوابغ عصره لما امتاز به من رجاحة عقل، ويُتبين ذلك من خلال أقواله وأشعاره التي تنطق بالحكمة وتفيظ بالوعظ.

وكان أبو وهب يتخفّى بالجنون خوفاً من الأوضاع السائدة آنذاك فاتخذ من الجنون وسيلة للتعبير عما يجول بقريحته فأثر دينه على سمعته وما كان يتمتع به من مقام علميّ

[1]- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص375.
[2]- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998م، ص230.

واجتماعي، فضحّى بذلك من أجل الإسلام، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على ذكائه ودهائه وبعد نظره وصفاء بصيرته.[1]

توفى في حدود سنة (190هـ/ 805 م).

ج- مكانته:

ولأجل الدّهاء والذكاء الذي كان يتمتع به بهلول، قال العلماء فيه أقولاً تثبت صحة الخبر وتبين جلال قدرة ومنها:

- أنّه العلامة في العلوم العقليّة والنقليّة متكلم الشيعة ،نابغة الفضل والأدب القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري (في كتابه مجالس المؤمنين)[2].
- وقال الشيخ محمد حرز الدين عنه: «كان البهلول عزيز الفضل، مسدداً في القول، عميق الفكر، لين الحديث، ذكره جملة من أصحابنا الرجاليين وأرباب السير والتأريخ فَهُم وإن اختلفوا في بعض الجهات من أحواله ولكنهم اتفقوا على أنه شيعياً فاصلا وأدبيا شاعراً»[3].
- وأمّا محمد علي المدرس التبريزي فقد قال فيه: «أنّه عالمٌ عارف كامل كاشف أسرار الفنون، المعروف (بالبهلول المجنون) كان من أعقل العقلاء وأعرف العرفاء، أنشأ أشعارا طريفة، وله مناظرات مع أبي حُنيفة وغيره وله نوادر كثيرة منسوبة إليه»[4].

وتشهد أقوال كثيرة على فطنته لمختلف العلماء الذين عرفوه وعاصروه.

د- جنونه:

أما عن جنون بهلول فقد رُويت فيه الكثير من الرّوايات المختلفة غير أنها اجتمعت على أنّ جنونه لم يكن إلا افتعالاً، ولم يكن حقيقة فقد «رُوي أنّ الرّشيد أراد أن يُوَلِيَ رجلاً القضاء فشاور أصحابه فأشاروا ببهلول فاستدعاه وقال له: أعنا على عملنا هذا قال بأيّ شيء أعينك

[1]- ينظر: ناصر الباقري البيد هندي: بهلول ومواقفه المشرفة، دار الشهيد، د.ط، د.ت، ص15-16.

[2]_المرجع نفسه، ص22.

[3]_المرجع نفسه، ص 24

[4]- المرجع نفسه، ص23-24.

قال بعمل القضاء قال أنا لا أصلح لذلك قال أطبق أهل بغداد أنكّ صالح له فقال سبحان الله أنا أعرف بنفسي منهم فإن كنت في أخباري بأني لا أصلح للقضاء صادقاً فهوما أقول وإن كنت كاذباً فالكاذب لا يصلح لهذا العمل، فألحوا عليه وشدّدوا وقالو: لا ندعك أو تقبل قال ان كان ولا بُدّ فامهلوني الليلة حتى أفكر في أمري، فلّما أصبح تجانن وركب قصبته ودخل السوق وكان يقول طرقوا خلوا الطريق لا يطأكم فرسي فقال الناس جنّ بهلول فقال هارون ما جُن ولكن فرّ بدينه منّا »[1]. هذا ولهم أحاديث في أسباب جنونه أو تجنانه غير هذه الرِّواية.

6- مفاهيم ومصطلحات حول:

أ- الجنون:

لذلك عُدّ الجنون عند علماء النفس: عملية هروب من الاضطرابات العصبية إلى الاضطرابات العقلية ويكون هذا بسبب البيئة والعوامل المتحكمة بالأشخاص «ففي داخل عملية الاضطراب العصبي والتي تسعى إلى الهروب منها من خلال الاضطراب العقلي تأتي الثقافة لتُحدد لنا شكل الشخصية البديلة التي يتعين علينا تقمصها »[2]، ففي بعض الأحيان تكون الاضطرابات العقلية مفر من الضغوطات النفسية واستفهامية الجنون لم تقتصر على علماء النفس فحسب، بل كان لها صداها عند الأدباء، فتناول البعض هذا المصطلح وخاضوا في ماهيته خاصة أنّ بعض الشعراء وُصفوا بالجنون أمثال: قيس بن ذريح والمخبل القيسي وغيرهم كثير.

ويبدوا أنّ الجنون هو الأفعال وربّما الأقوال التي لم يعتدها النّاس في حقبة زمنية معينة لذلك نجد أنّ الرّسل والأنبياء دائما ما يقذفون بالجنون «والمجنون عند الناس من يُسمع

[1]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، تح: حَسن الأمين، م3، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.ط، 1983م، ص617.

[2]- كلود كيتيل: تاريخ الجنون، تر: سارة رجائي يوسف وكريستينا سمير فكري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص11.

ويسب ويخرق الثوب، أو من يُخالفهم في عاداتهم فيجيء بما يُنكرونه ولذلك دعت الأمم الرُّسل مجانين»[1].

وقسم آخر ذهب إلى القول لأنّ الجنون هو تلبّس الجن للإنسان فلا يلبث إلاّ وتراه هائجاً مائجاً يقولُ ما لا يُفهم: لذلك نسبوا الجنون إلى الجن [2]، وللجنون دوافع وعوامل أخرى ومن بينها الهوى.

ب- الهوى:

والأخير إذا لم يكبح ولم يلجم طغى العقل وانقلبت الموازين من محكوم إلى حاكم ومن عاقل إلى مجنون، وراح جوهر الإنسان في مهب الريح، والهوى هو إتباع ملذّات الحياة وشهوات النفس وتغليب المشاعر والعواطف وتحكيم الذات واللّذات.

و«ميلان النّفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع» [3]، فما يحرمه الشرع يكون ثقيلاً على النفس لا تُطيقه، فإن وقعت فيه تصادم العقل مع الشهوة، وهنا يسير المرءُ من العقل إلى الجنون وهذا ما أكده ابن الجوزي بقوله: «واعلم أنّ الهوى يسرى بصاحبه في فنون، ويُخرجه من دار العقل إلى دائرة الجنون، وقد يكون الهوى في العلم فيخرج بصاحبه إلى ضدّ ما يأمر به العِلْم»، [4] فلا يُرشدُ الإنسان إلاّ إذا أعصى نفسه، وإن صادقها فإنها تهوى به إلى حُفرةِ الخَبل إذ أنّ «الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه»[5]، سواءٌ أكان ما يُلائمه حقاً أو باطلاً دون التفكير في العواقب والتبعات التي تعقبُ فعل المنكرات، ولأن البعض عدّ

---

[1]- النيسبوري (أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب): عقلاء المجانين، تح: عمر الأسعد، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص30.

[2]- ينظر: قيس كاظم الجنابي: معجم المجانين من الشعراء، ص15.

[3]- الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف): معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د.ط، 1413م، ص216.

[4]- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن): ذمّ الهوى، تح: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص38.

[5]- ابن القيم الجوزية(شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدّمشقي): روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م، ص467.

محل العقل هو القلب استناداً إلى قوله تعالى: «فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ »[سورة الحج- الآية 46]، كان مخالفة الهوى صُرفة الدّاء عن العقل والقلب معاً وهذا ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية حين قال: «أنّ مخالفة الهوى طُردَة للداء عن القلب والبدن »[1]، فلما كان اجتناب المعاصي ومخالفة الأهواء عصمة من مضارِّ العقل والبدن، كان العشق الإلهي المطلق أحد أسباب الجنون، وقد مثّل لنا هذه الظاهرة طائفة المتصوفة الذين تعلقوا بربهم تعلقا روحيا ففارقوا الدنيا وهم أحياء وعاشوا في الآخرة وهم مع البشر في ظلّ التصوف.

ج- التّصوف:

الذي مثّل العشق الرّوحي بين المتصوف وربه؛ إذ أن «التصوف في جوهره "حال" أو "تجربة روحية" خاصة يعانيها الصوفي ولتلك الحال من الصفات والخصائص ما يكفي في تمييزها عن غيرها مما تعانيه النفس الإنسانية من أحوال أخرى »[2]،فالنفس الإنسانية تعتريها مشاعر وعواطف مختلفة، غير أنّ التصوف يُخرج الإنسان من الحالة العادية إلى حالة الجنون؛ ذلك أنّ المتصوف لم يعد يهتم بالعبادات الجسدية بل تجاوزها إلى العبادات الرّوحية التي لا يعيها معظم النّاس الذين تعلقوا بشهوات الدّنيا وملذّاتها، فيقذفون نُسَّاك الصوفية بالجنون؛ لأن نعت التصوف هو «تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة دعاوي النفسانية، ومنازلة صفات الرّوحانية»[3].

التي تبعدهم عما تعوّدته المجتمعات الإنسانية من عبادات دينية، فعبادات المتصوِّفة تفوق عقل النّاس، فالتصوف «استرسال النفس مع الله تعالى على ما يُريده »[4]، والانقياد إلى أوامر الله عزّ وجلّ، واجتناب مُحرّماته، من علامات العقل الرّاشد، وذلك الجوهر الذي فُضّل به الإنسان عن جُلِّ المخلوقات.

---

[1]- ابن القيم الجوزية : روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص479.

[2]- أبو العلاء عفيفي : التّصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص12.

[3]- أبو عبد الرّحمن السُّلمي: الطبقات الصوفية، تح: أحمد الشرباصي، دار الشعب، ط2، 1998م، ص159.

[4]- أبو نصر السراج الطوسي: اللُّمَع، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سُرور، دار الكتب الحديثة، مصر، د.ط، 1960م، ص45.

د- العقل:

وكثيراً ما شغلت ماهية هذا الجوهر تفكير الباحثين الفلاسفة والنقاد فذهب البعض إلى اعتباره أساس الإنسان الذي به يستطيع الفصل بين الخطأ والصواب، إذ أن العقل عند أندريه لا لند هو: «عنصرٌ جوهري من عناصر الشخصية الخُلقية من حيث هي غير قابلة للتفسير بالمصالح والانفعالات والأهواء الشخصية»[1].

فالعقل عنده هو الحاكم الموضوعي الذي لا يخضع إلى الرّغبات والميول في حكمه ومن حكّم عقله بلغ الدّرجات العُلى في أخلاقه.

ولم يقتصر مفهوم العقل لدى الفلاسفة فقط ، بل تناوله الأدباء أيضا بالبحث والدراسة، فكان العقل عندهم الهبة الفاصلة بين الإنسان والحيوان، ولعلّ ذلك استنادا لقوله تعالى:{ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا }[الفرقان، الآية:44].

لذلك أعتبر ابن الجوزي العقل «الوصف الذي يفارق به الإنسان البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النّظرية، وتدبير الصناعات الخفية والفكرية»[2].

فالعقل أساس المعارف والعلوم الأحكام الصائبة والسبل المستقيمة، «العقل مثلما ترون يا سادة، شيءٌ جميل رائع، وهذه حقيقة لا تقبل التفنيد إنما ليس العقل دائما وأبداً سوى العقل ولا يُرضي غير ملكة الإنسان العاقلة وحسب»[3].

فالإنسان لا يكون إنسانا إلاّ إذا ساد عقله على غريزته، وحكّمه على عاطفته وميوله ورغباته.

---

[1]- أندريه لالند: العقل والمعايير، تر: نظمي لوقا، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط، 1979م، ص5.

[2]- ابن الجوزي: أخبار الأذكياء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص34.

[3]- فيدور دوستويفسكي: مذكرات قبو، ص47.

الفصل الأوّل

(بصمة عقلاء المجانين في الأدب العربي القديم)

أولا: نشأة أدب عقلاء المجانين وأسبابه.

ثانيا: ضروب عقلاء المجانين.

ثالثا: القيمة العلمية لأدب عقلاء المجانين ونظرة النقاد له.

أولا: نشأة أدب عقلاء المجانين وأسبابه:

1 نشأة أدب عقلاء المجانين:

غالبا ما يحاول الإنسان التعبير عن أرائه وأفكار ومعتقداته، لهذا ظهرت فنون أدبية تماشت ومقتضيات أحوال العصر، بمرور الدهر منها ما تراجع ومنها ما تطور كأدب عقلاء المجانين الذي تقدم وازدهر على مرِّ العصور, ففي العصر الجاهلي ربطوا الشعر بالجن الذي يكون مصدر الإلهام،أما في صدر الإسلام فردوا الجنون إلى معصية الله و رسوله الكريم, و في العصر الأموي كان مرده إلى العشق والهوى . بينما في العصر العباسي نجده قد اقترن بالحكم وإرشاد الناس، ومن هنا نرى أن أدب عقلاء المجانين وُجدَ منذ العصر الجاهلي ممارسة لا مصطلحاً إلى أن وصل لما هو عليه في العصر العباسي.

أ- العصر الجاهلي:

ارتبط الجنون في العصر الجاهلي بالجن، فاعتقدوا أن المجنون هو من تلبسته الجِنَّةُ فالشعراء الجاهليين جعلوا منها مهبطا لإلهامهم وإبداعهم فتكونت بينهم علاقة متينة مع مرور الزمن، فالجن في نظرهم هو مصدر العبقرية وإبداع الشاعر، حيث يختار له أجود الألفاظ وأحسنها يقول الجنابي «وأن لكل شاعر شيطانه الذي يلهمه ويبذر بذرة الإبداع في عقله »[1] فالجنُّ يوحي للشاعر قول الشعر حسب زعم الجاهليين، ولهذا تكوَّن نوعان من الشياطين أحدهما الهوبر والآخر الهوجل «فمن إنفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه، ومن إنفرد به الهوجل فسد شعره»[2]، فإذا كان الشعر في لفظه ومعناه حسناً كان الفضل في ذلك إلى هوبر أما إذا كان قبيحاً فاسداً خالياً من الجمال فمرده إلى هوجل.

فالفضل في نبوغ الشعراء في شعرهم يعود إلى الجن هوبر يقول الجاحظ في كتابه الحيوان«...فإنهم يزعمون أنّ مع كلِّ فحل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحلُ على لسانه

[1]- قيس كاظم الجنابي: معجم المجانين من الشعراء، ص19

[2]- المرجع نفسه،20.

الشعر»[1] فقد كان لكل شاعر شيطانه الذي جعل منه نابغة في الشعر، وهذا الأمر يختلف من شاعر إلى آخر،ولأن الجنون سببه الجن في تلك الحقبة الزمنية يمكن القول أن الشعراء كانت تعتريهم فترات من الجنون بسبب حضور الجن إليهم ثم لا تلبث تنفك عنهم بمفارقة الجن لهم

وهذا ما يدفعنا إلى القول أن الجنون في هذه الفترة أقتصر فقط على الجن أو الشيطان الذي كان له دور بارز وفريد من نوعه في إبداع وإلهام الشاعر.

ب- صدر الإسلام:

ولما جاء الإسلام جعل مردّ الجنون إلى معصية الله تعالى والخروج عن سبيله «عن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذا مرّ به رجل فقال بعض القوم: هذا مجنون. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا رجل مُصاب، إنما المجنون المقيم على مَعصية الله عز وجل" »[2]، فقد رفض الرسول فكرة أن الجنون مرض يصيب الإنسان، وإنما المجنون عنده صلى الله عليه وسلم هو الذي يقوم بمعصية الله بفعل نواهيه واجتناب أوامره، ثم إن المجنون من يضيع شبابه وراء الدنيا وملذاتها.

وهناك من تأثرت روحهم بالدين الإسلامي وحبهم لله عز وجل فهؤلاء هم المجانين الصوفية الذين فاضت قلوبهم ووجدانهم بالعشق الإلهي فمن شدة عشقهم أصابهم نوع من الوسوسة والجنون، ولأنهم لم يستطيعوا التعبير عما في داخلهم من مكبوتات وكيفية نيل محبه الله تعالى، ذهبوا إلى طريق الجنون وانفردوا عن الناس لكي يقوموا بعبادته، يقول البغدادي المجنون «أنا مجنون الله»[3] يريد المجنون بحبه وطاعته.

---

[1]- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ): الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج6، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البالي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1967، ص225.

[2]- النيسبوري: عقلاء المجانين، ص29-30.

[3]_ قيس كاظم الجنابي :معجم المجانين من الشعراء ،ص 26

ج-العصر الأموي:

أما عن العصر الأموي فإن الجنون كان سببه العشق والهوى أو الصبابة، فالعشق يذهب العقول ويسلب النفوس، ويترك المرء صبّا هائما لا هنا ولا هناك ونضرب مثلا لذلك قيس بن الملوّح الذي أجنه حبّه لابنة عمه، غير أنّ هذا الجنون لم يمنعه من التغزل وقول الشعر فيها فأبدع في الجمع بين النقيضين العقل والجنون، والأخير سببه إدمان المحب لمحبوبه، وهذا ما أكده ابن حزم بقوله أن الجنون «يتولد عن إدمان الفكر فإذا غلبت الفكرة وتمكن الخلط التّداوي خرج الأمر من حدّ الحبّ إلى حدِّ الوله والجنون »[1]، فللعشق حدود إذا تجاوزها العاشق تحول إلى مجنون لكثرة حبه وهيامه، فالهوى طبع في النفس البشرية لا مفر منه إلاّ بكبحه بالاعتصام بحبل الله، فالنفس ترتاح إلى ما يجلب لها السلام والاطمئنان والسكينة. والعشق شعور نقي طاهر يصلي المحب بناره و يستقر في فؤاده و يجعله ينظم أحلى الأشعار ليتغنى بمعشوقته حتى يتحول إلى داء الجنون الذي يصعب التخلص منه «...والتتيمُّ نهاية الهوى وآخر العشق ومن التتيم يكون الداء الدوِيُّ والجنون الشاغل»[2].

فالعشق في غالب الأحيان يتحول إلى داء يجعل من العاشق أو الشاعر يصور لمعشوقته الحرمان والعذاب في فراقها.

د- العصر العباسي:

وقد كان الجنون في العصر العبّاسي يُطلق على فئة تمتاز بالحكمة والأقوال المأثورة التي يعجز بعض العقلاء على الإتيان بمثلها، فالحكمة ضرب من ضروب الجنون إذ «أنّ عقل الإنسان في علاقته بالحكمة ليس سوى جنون وعقل الله، قياسا إلى الحكمة البسيطة

[1]- علي بن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الأُلفَةِ والألّاف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2016، ص130.

[2]- ابن الجوزي: ذم الهوى، ص284.

للإنسان»[1]، لهذا كانت هنالك علاقة وطيدة بين الحكمة والجنون، لأن الحكمة تستعمل الجنون للارتقاء بأفكارها ومعارفها وبهذا تكون أعم من الجنون فهي تجمع بين العقلاء والمجانين، أما الجنون فهو يختص بفئة معينة اتخذت منه وسيلة للتعبير عما يجول في خاطرها بأسلوب راقٍ يصعب فصله عن أقوال العقلاء، فالمجانين باستثناء ذهاب عقولهم إلا أنهم تفوهوا بكثير من الحكم وإصابة في القول، فقد أكد ابن عبد ربه أن المجنون قد يكون حكيما بليغا يقول كلاماً يقارب ويشابه كلام العاقل فقال: «وقد يأتي لهؤلاء المجانين كلام نادر محكم لا يسمع بمثله، كما قالوا: رب رمية من غير رام »[2] فعقلاء المجانين في غالب الأحيان يقولون كلاماً قليلا لكنه يحمل في طياته كثيراً من المعاني الهَّادفة إلى الوعظ وإرشاد الناس، لهذا اهتم الخلفاء بهذه الفئة وكانت تدعوها إلى مجالسهم لأخذ الحكم والعبر.

وأصبحوا يعاملوهم معاملة العاقلين بل نظروا إليهم نظرة العقلاء وأصدق الأدباء وأحكم الحكماء وأبلغ البلغاء.

2 أسبابه:

يعد أدب عقلاء المجانين وليدا أو انعكاسا لأوضاع شهدها العصر العباسي الصارم في قواعده وقوانينه، لهذا رأى العديد من الأدباء، أن أنسب وسيلة للتعبير عن رفضهم هي إدعاء الجنون للتخلص من هذه الصراعات القائمة بين الأدباء والسياسة المستبدة والاضطهادية وبالتالي أصبحوا قادرين على قول كل ما يختلج في أنفسهم فكانوا صوت الحق والضعفاء والفئات الفقيرة، فشاع التظاهر بالجنون وذلك راجع إلى عدة أسباب نذكر منها:

[1]– ميشال فوكو : تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تر: سعيد بنكراد المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص54.

[2]– ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص180.

أ/ الأسباب الدينية:

إنّ الاختلاط الثقافي الذي شهده العصر العباسي والتّجانس البشري أدى إلى تعدد التيارات الدينية وبسبب التّرف ظهر المجون والحياد عن طريق الله عز وجل، فالبعض أغرته الحياة الدّنيا وزينتها، وكلّ هذه المظاهر صَعب على بعض الناس التأقلم معها فحدث لهم نوعُ من الانفصام في شخصياتهم فتجاننوا لكي يبتعدوا عن العيش الغريب الذي يحياه الناس في تلك الحقبة الزمنية، لأن الخبيث قد كثر وقل ما تجد طيباً، فما إن ينصحُ أحدٌ عاقلُ قوماً إلاّ تفكهوا به لذا كان باب الجنون السبيل الوحيد للنصح والإرشاد، فقد ذكر ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد أنه: «كان في زمن المهدي رجل صوفي، وكان عاقلا عاملا ورعاً، فتحمق ليجد السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[1] وبهذا يحثون عن فعل المعروف والنّهي عن المنكر دون أن يتجادلوا مع الناس، فكأن عقولهم تثب إليهم إذا ما نصحوا ثم ترتدّ عنهم «هؤلاء أنهم إذا حصل لهم في جنونهم نوع من الصحو تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان لا بالكفر والبهتان»[2].فعقلاء المجانين كمن صام عن الكلام ثم أفطر وقال حسناً وحقًا ثم رجع لإعراضه عن النّطق، فالله تعالى يُحاسب عن الكلام ولا يُحاسب عن الصمت إلا السكوت عن الحق.

إذن من الأسباب الدينية الدّافعة للتجانن هي الأعراض عن العيش في البذخ واجتناب الطيش وكلّ ما يُنسي ذكر الله عز وجل في هذه الحياة، ومحاولة التستر بالجنون لنصح النّاس الضالين وإرشادهم إلى السبيل الأصح عسى أن يتفكروا ويتدبروا.

[1]– ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج7، ص168.

[2]– ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): أولياء الله عقلاء ليسوا مجانين، تح: محمد شاكر الشريف، د.د النشر، ط1، 1412 هـ، ص48.

ب- الأسباب السياسية:

إن التظاهر بالجنون يرفعُ عن المرء كُلفة العقاب، فلا يستطيع الولاة الانحدار إلى شخص لا عقل له فيعاقبوه، حتى وإن كان هذا الشخص يَنْقُدُ الحكام ويَنْتَقدُ الحكم، لأن المجنون سقط عنه التكليف، إذن «فجنون هؤلاء المجانين لم يكن حقيقيا وإنما هو غطاء يحمي وستر ويحجب»[1]لأنهم كانوا يتناولون القضايا المحظورة التي يجب أن تبقى مخفية عن الرّعية بينما تفطنوا لها هم ولم يجدوا السبيل في إذاعتها إلاّ عن طريق إدعاء الجنون فسموا عقلاء المجانين لدهائهم، فقد ذكر صاحب البيان والتبيين أنّ مجنونا في اليمامة هجا المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة فقال لأصحابه: «ما جئتموني به إلا عمداً، ما هذا بمجنون »[2] ثم انصاع وانقاد لهجائه كي لا ينحدر إلى مستواه لأن من يعتب مجنونا فهو مجنونا مثله، ومن أسباب التجانن أيضا الفرار من الأمر المحتوم مثلما فعل أوليسيز الذي ادعى الجنون فرارا من ساحة الوغى[3].

فعقلاء المجانين حاولوا أن ينشروا الوعي بين الناس ويتصدوا للحكام فلولا علّة الجنون المُفتعل لما استطاعت هته الفئة مواجهة الاستبداد والفساد التي تلاقيه من طرف السلطة الحاكمة، فقد ورد في كتاب مروج الذهب أنّ مجنونا أعترض محمد بن سلمان وسوّار القاضي «فقال له: يا محمد أمِنَ العدل أن تكون نحلتك في كل يوم مائة ألف درهم وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه؟ ثم ألتفت إلى سَوَّار فقال: إن كان هذا عدلا فأنا أكفر به فأسرع إليه غلمان محمد فكفهم عنه، وأمر له بمائة درهم »[4] فهذا التصرف لا يصدر إلا من

---

[1]- أحمد خصخوصي: الحمق والجنون في التراث العربي من جاهلية إلى أواخر القرن الرابع، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص236.

[2]- الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص233.

[3]_ ينظر: هوميروس :الإلياذة، تر:دريني خشبة، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1،2014، ص50.

[4]- أبو الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، م:كمال حسن مرعي، ج3، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص280.

شجاع جريئ أو مجنون داهية، لذا كان أدب عقلاء المجانين المُولّد أو المحرك الذي يصوِّر صوت الفقراء والعامة من النّاس، ويكشف الطغيان والجبروت الذي يتصف به الحكام عبر الزمن.

ج- الأسباب الاجتماعية:

بما أن الأحوال الاجتماعية للفرد هي الدافع الرئيسي وراء كل انتشار لظاهرة الجنون التي تهدف إلى معالجة قضايا المجتمعات، وهذا ما صوروه في مضامينهم الشعرية والنثرية، لهذا اتخذوا من الجنون وسيلة للخروج من دائرة العقل والمنطق، فقد ذكر هذا أحمد خصخوصي في كتابه الحمق والجنون بقوله «...يرى المرء المجنون في بعض الأطوار وكأنما هو في عزوفه عن مجتمعه الأصيل ورغبته في الاستعاضة بغيره يميل إلى شيء يشبه إلى حد إقامة نمط خاص من السلوك وتأسيس نوع معين من المواقف وإرساء لون محدد من التقاليد»[1].

نستخلص من هذا أن الجنون سببه الرئيسي هو استنكار عقلاء المجانين للواقع الاجتماعي الذي هم فيه حيث أرادوا أن يبتعدوا عن العادات والتقاليد الموروثة التي تجعل الفرد مقيداً وتحد من حريته وتحط من قيمته في مجتمعه، لهذا فإن « الجنون –أوبوجه آخر إدعاء تعطل العقل –... يجعل صاحبه في حل مما يشده إلى مثل تلك العقود الاجتماعية وبما أن هذه الأنظمة ما يقيد حرية الأفراد والفئات أحياناً فإن الضيق بما يحمل على البحث عن سبل للتخلص منها أو الاحتيال عليها »[2]فالدافع الرئيسي الذي يبرر لنا استعمال صفة الجنون عند هذه الفئة بالذات هو محاولة منهم للخروج من النمطية المعروفة التي وضعتها السلطة الاجتماعية.

[1]- ينظر: أحمد خصخوصي: الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع، ص167.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص252.

ثانيا: ضروب عقلاء المجانين

الملاحظ في الحياة أن أمورها متشبعة وتياراتها متعددة وسبلها متنوعة، ولاختيار السبيل الأصح توجّب على الإنسان إعمال عقله الذي وهبه الله سبحانه وتعالى إيّاهُ للوصول إلى حقائق الأمور وأصحها، ولا يكون ذلك إلاّ باتّباع أوامر الله وسنة نبيّه «فَمَن يَكْفُرِبِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَاوَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [البقرة،الآية :256]، أمّا من اتّبع هواه وآثر دنياه فقد خسر نفسه وأخراه «أفمن كان على بيّنه من ربّه كمن زيّن له سوء عمله واتّبعوا أهواءهم»[محمّد، الآية:14].

فأظلتهم عن الحقّ وأذهبت عقولهم، فليس المجنون من يخرق الثوب ويسب فقط، بل ومن يتّبع هواه «قال أبو محمّد بن عجيف: مرّبي مجنون فقلت: يا مجنون ! قال: وأنت عاقل؟ قلت:نعم؛ قال: كلانا مجنون، ولكن جنوني مكشوف وجنونك مستور، قلت فسّر لي قال: أنا أخرق الثّياب وأَرجُم وأنت تعمر دارًا لا بقاء لها، وتطيل أملك، وما حياتك بيدك وتعصي وليّك، وتطيع عدوّك»[1].

ففقدان العقل لا يقتصر على المجانين فحسب، بل قد يكون المتعلّق بالدّنيا وملذّاتها أكثر جنونا من فاقد العقل.

ومن هنا برزت أصناف عقلاء المجانين في ضروب تجلّت في الأدب والدّين:

أ- في الأدب:

من الجليّ تعدد الموضوعات والأغراض في الأدب العربي القديم وخاصّة في الشعر الذي مثّل ديوان العرب. فنجد المدح و الهجاء والرّثاء والغزل، هذا الأخير الذي حمل لنا بين سطوره جنون المحبين والعشّاق وعقل الشعراء الفصحاء، ولأنَّ الشعر هو شرارة قدح بين

[1]- ابن الجوزي:أخبار الأذكياء، ص268.

نفسية الشاعر والعوامل الخارجية، كان العشق والهوى نتيجة انفتاق غرض الغزل، وعدّ البعض العشق إصابة ومرض وهذا ما ذهب إليه ابن سينا في قوله: «هذا مرض وسواسي شبيه بالمنخوليا *، يكون الإنسان قد جلبه إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصوّر والشمائل التي له»[1].

فالرّؤية العميقة والتّأمل في وجه المحبوب يولد سكرًا ويذهب عقلا ولأن الله عزّ وجلّ يعلّم سريرة النّفوس نهى عن ذلك وأمر بغضّ البصر.وذهب البعض إلى القول بأن الهوى سكر مثله مثل الخمر لا يبقي في العقل ولا يذر «ومن أسباب السّكر حبّ الصور فإنّه إذا استحكم وقوي أسكر المحبّ وأشعارهم بذلك مشهورة»[2].

ويظهر ذلك جليا حول ما نسجه التّاريخ من روايات حول شعراء الصبابة الذين أذهب الهوى عقولهم؛ فكانت هذه المشاعر العاطفية وعدم رؤية المحبوبة تنتهي إلى خلخلة عقل الشعراء المتيّمين وتسوقهم إلى الجنون ما حدث مع قيس ليلى من ألمٍ اعتراه فأجنّه:

يَقُولُونَ مجْنُونٌ بِحُبِّكِ مُولَعٌ أَلَا حَبَّذَا جِنٌّ بِهَا وَوُلُوع

وَلَا خَيْر فِي حُبٍّ يَكُونُ كَأَنَّه شَغَافٌ أَجنّته حَشَى وَضُلُوع [3]

فالشاعر هنا يفضّل الجنون الظّاهر على الحب المخفي في حشاه، وهذا دالٌّ على ميلان عقله وقلبه، فلا يكاد يستبين معنى إلاّ لفظة ليلى ومعنى ذلك أنَّ «الهوى يحول بينه وبين الفهم للحال فلا يرى إلا قضاء شهوته»[4].

---

*المنخوليا: تغيّر الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي إلى الفساد. ينظر: (ابن سينا: القانون في للطب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م ص103).

[1]– ابن سينا (علي الحسين بن علي): القانون في الطب، ج2، ص112.

[2]– ابن قيم الجوزية: روضة المحبّين ونزهة المشتاقين،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص108.

[3]– النيسبوري: عقلاء المجانين، ص111.

[4]– ابن الجوزي : صيد الخاطر، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص204.

والوصول إلى غايته، ولما كان الهوى يسوق الإنسان بحيث لا يتحكم في نفسه ابتلاه الله بألم الصبابة، وأرجع البعض هذا الألم إلى تعلق الإنسان تعلقا مطلقا بمن يحب ونسيانه لخالقه، وأنَّ هذا الحسن والجمال من نعم الله على عبده فلا يجب أن ينسب إلى غير الله «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ»[البقرة، الآية: 165].

فهذا هو حال من يتيِّم نفسه بغير حب الله حتى إذا فارقه وهجره من يهوى أتاه من العذاب ما لا يحتمل فلا يموت ولا يحيا «وذلك باب شريف من الغيرة الإلهية... أن يحرّم الله هذه الصبابة لأنه يغار على عبده ويراه جديرًا بحب أرقى وأعلى»[1].

ومن هنا قد صرف الله عز وجل السُّوء والفحشاء عن بعض عباده المخلصين إلى عبادته والفناء في حبّه تعالى.

ب- في الدين:

فاستجابت طائفة من الناس لداعي الله، وأعانتها نوائب الدَّهر وجور الحكام، ففرَّت بدينها إلى الملك الواحد، قال تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [الذاريات، الآية:50].

وأفنت نفسها في حبه تعالى لما عرفت أنَّه الحقيقة المطلقة، التي توجب على الإنسان الإذعان لها، فلم تشتغل بغيره يقول الرازي: «من ذكر الله بحقيقة ذكره نسي ذكر غيره»[2] لأنَّ الخالق يغني عن كلِّ مخلوق وهذه الطائفة هي المتصوفة التي عرفت الحق، ولما كان الإيمان بالحقيقة هو عين الجنون[3]، قذف المتصوفون بالجنون وزوال عقلهم ولربما ذلك راجع

[1]- مصطفى محمود : عصر القرود، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، د.ت، ص33.

[2]- أبو عبد الرحمان السلمي : الطبقات الصوفية، ص 59.

[3]- ينظر: دوستويفسكي : حلم رجل مضحك، تر: ثائر زين الدين، مكتبة وصال العرب، د.ط، د.ت، ص 1.

لاجتنابهم ملذَّات الدُّنيا وشهواتها وتعلُّقهم بالعالم الدنيوي على عكس أولئك الذين جعلوا من الدنيا حياتهم الأولى والآخرة، واتخذوا المتصوِّفة سخريا، وما سخروا منهم إلا لأنهم تعلقوا بالله تعلقا روحيًا ولذلك سموا «عقلاء المجانين الذين يعدُون في النّساك، وقد يسمون المولهين. قال فيهم بعض العلماء: هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالًا، فسلب عقولهم، وأسقط ما فرض بما سلب»[1].

فعباداتهم لم تكن ظاهرة قائمة على الجوارح كالصلاة والصّوم والزَّكاة لأنَّ الله أسقط عنهم التكليف واستبدلها بالأعمال «الباطنة فكأعمال القلوب وهي المقامات والأحوال مثل التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والتوكّل والمحبّة»[2].

لذلك فإن العبادة الخالصة لله لا تقتصر على الظاهر الذي قد يكون فيه رياء وتظاهر بل تعتمد على الباطن والتصديق الجازم لا يكون إلا بالقلب، الذي يعتمد عليه الصوفي في إدراك الله وصفاته العلا لذلك فإنّ «جنونهم ما كان سببه فساد مزاج عن أمرٍ كونيٍّ من غذاء أو جوعٍ أو غير ذلك وإنَّما كان عن تجلٍّ إلهيٍّ لقلوبهم»[3].

ففقرهم وجوعهم لم يكن بالسَّبب الذي جعلهم ينتهجون سبيل الله ويفارقون الحياة، بل النَّظرة الرُّوحية لحقيقة الإله وأنَّهم ما وجدوا في هذه الدُّنيا إلَّا ليعبدوه ويُصلحوا علاقتهم به قال تعالى:{وما خَلَقْتُ الجنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدونِ}[الذَّارِيَات ، الآية: 56].

---

[1]– ابن تيمية: فقه التصوف، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 15.

[2]– الطُّوسي : اللّمع، ص 43.

[3]– محي الدين بن عربي: الفتوحات المكية، السفر 4، تح: عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1992 ص 170.

لهذا تركوا خلفهم الكنوز والمقام الكريم منتقلين إليه تعالى في سمائه بعقولهم منتظرين الانتقالية الجسدية ليكتمل اجتماع المحبين بحبيبهم «فعقولهم محبوسة عنده منعَّمة بشهوده عاكفة في حضرة منزله في جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول»[1].

لذا فالحبّ الإلهي والتعلُّق الرُّوحي هو الذي جعل الصُوفيّ يفقد عقله إذ «يمكن أن يكون المجنون وجهًا سريًّا من وجوه الله (حالات الدَّرويش المسالم، وهو وجه مألوف في كل الثقافات) فحكمة الطبيعة هي من العمق لدرجة أنّها تستعمل الجنون باعتباره الدَّرب القصير المؤدي إلى الحكمة متخطيًّا أشكاله الخاصة من خلال عناية إلهية غير مكشوفة»[2].

فجِنَّة التَّصوف لها شكل خاص ليس كغيرها من أنواعها، فالله تعالى هو الذي وهبهم هذا الجنون ليعتني بهم من خلاله، ويُبقى في لسانهم حكمة بالغة، ينطقون بها ويوجّهون الناس إلى سبيل الرشاد، فيستطيعون نقد الحكام ومخاطبتهم وإخبارهم بكل مساوئهم، لأنَّ الجنون هو بمثابة الدرع الواقي الذي منحه الله عزَّ وجلَّ لعباده الذين تجلّى فيهم بعد أن زكَّى نفوسهم من كل صفات البشرية وطَهَّر أرواحهم من حب غيره فاخلصوا له وأذعنوا الولاء، فهم أقوام يحبُّهم ويُحبُّونه.

[1]– محي الدين بن عربي : الفتوحات المكية، ص170.

[2]– ميشال فوكو : تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص13.

ثالثا: القيمة العلمية لأدب عقلاء المجانين ونظرة النقاد له

يشكل أدب عقلاء المجانين أهم الآداب العربية المنسية منذ العصور القديمة، فقد كان ينظر لها على أنها كلمات متناثرة لا أساس لها من الصحة باعتبار أصحابها مجانين دون النظر إلى أعماق هذه المفردات وفهم المغزى منها، فنجدهم قد عبروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم ومعاناتهم دون اللجوء إلى استعمال العقل، فقد كان التظاهر بالجنون وسيلة للتعبير عن تجاربهم النفسية ومكبوتاتهم الداخلية .

فالأدب كان بمثابة السلاح الذي يهاجم به الأدباء أخطاء الحكام ويدافع به صاحبه عن ما يراه حقا «فالشاعر كان وزير إعلام القبيلة ! هو الذي يفخر بأنسابها ويهجو أعداءها ويصدر بيانات التهديد والوعيد إلى العدو وبيانات التحبب والتقرب إلى الحليف على هيئة قصائد»[1].

فقدرة الأدب على تحرير الإنسان والدفاع عنه جعلت للشاعر مكانة خاصة في قبيلته...وأدب عقلاء المجانين_وان لم يلق ذلك الاهتمام الذي لقيته آداب أخرى _ينطوي تحت مظلة الأدب عموماً كان له هو الآخر قيمته العلمية التي ساهمت في سموه ورقيه إن صح القول .. و الدال على ذلك اهتمام النقاد به ودراسته.

أ ـ القيمة العلمية لأدب عقلاء المجانين:

بزغ صوت غير معتاد في بيئة العصر العباسي وهو صدى الفئة المثقفة التي ملت الظلم والتعسف الذي اعتاده الناس تحت مسمى العادات والتقاليد الاجتماعية وشبكة الصراع السياسية، فراح يهاجم الفساد الصادر عن الطبقة الحاكمة خاصة ويحاول توعية الناس بشكل عام، لكن عن طريق الحكمة والموعظة والغريب في الأمر أن خلفاء العصر لم يُبدوا أي

[1]– أدهم الشرقاوي :وإذا الصحف نشرت، دار كلمات للنشروالتوزيع ،الكويت،ط1، 2018،ص 352.

محاولة لردع هذا الصوت غير أنهم لم يعطوه حقه مثل باقي الآداب كونه يفضح الوجه الحقيقي لسلطتهم المستبدة، وتوجوا سبب تهميش هذا الأدب بفكرة أنه صادر عن أناس مغيبو العقل ،طبعا ولم يبدوا أي محاولة للمساس بعقلاء المجانين لأن محاولة ردعهم وزجرهم بأي وسيلة ستكلف الولاة الطعن في صحة عقولهم.

إذ فهذا الجنون افتعال للوصول إلى غاية محددة ولا يمكن أن تصدر هذه الفكرة عن أشخاص عاديين بل لابد أن تكون لهم قدرة التفكير والتدبر في الشؤون المعرفية ولا يكون ذلك إلا من مثقف واع لم يدور من حوله، لذلك « يقال أن المجانين يكونون في بعض اللحظات من أوسع الناس حيلة و أكثرهم مكرا!»[1].

ففي العصر العباسي كان لأدبهم دور بارز في الوعظ وإرشاد الملوك خاصة والناس عامة، وبهذا نال مكانة مرموقة و جابه أقوال الحكماء العقلاء بفضل إنتاجهم الأدبي الغزير في شكله ومضمونه، لذا توجب الحرص عليه فضل حرص كونه أغفل إغفالا لا يتناسب إلا تناسبا معكوسا مع غزارة مضامينه وجلال خطره باعتباره معدنًا للمعاني ومكمنًا لضروب الاستقراء ووجوه التأويل [2]، فهو منبع لابتكار المعاني والألفاظ التي تحمل العديد من التأويلات والاستقراءات التي تتناسب مع مضامينهم كما له وظائف مهمة وجليلة تخدم مصالح المجتمع بل جاءت من أجل معالجة قضاياه وتصوير الواقع الذي هم فيه بأسلوب فني راقٍ.

وهذا ما دفع بعض الأدباء والمفكرين إلى تأليف كتب تتضمن الأقوال والأفعال التي وردت على لسانهم أو قاموا بفعلها، ومع مرور الزمن تعددت القصص والروايات وأصبحت فناً أدبياً قائماً بذاته له خصائصه التي تميز بها عن غيره من الآداب العربية، فلم يكتفوا

[1]– دوستويفسكي:المراهق، تر: سامي الدروبي، ج2، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1،2010، ص437.

[2]– ينظر: أحمد خصخوصي:الحمق و الجنون في التراث العربي من التراث العربي من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع، ص5.

بتدوينه فحسب بل قاموا بدراسة وتحليل هذه الحكم من الأشعار والأقوال المأثورة التى خلدها التاريخ بأحرف من ذهب.

وتتجلى هذه القيمة العلمية التي صورها لنا أدب عقلاء المجانين في المعلومات القيمة في مختلف مجالات الحياة التي شهدها العصر العباسي وخاصة الأدبية لأنهم أبعدوا ماهية العقل، واعتمدوا في غالب الأوقات على الجنون للتعبير عن عواطفهم ووجدانهم،فهذه القيمة التي ميزت أدبهم راجعة في أغلب الأحيان إلى أصحابها الذين قاموا بتصوير ما مروا به في حياتهم من عواطف ووجد ليصبح مع مرور التاريخ أدباً فنياً قائم بذاته له خصائصه ورواده الذين ساعدوا في ازدهار وترقية هذا الفن ليصبح بمثابة مدونة يلجأ إليها الباحثين والدارسين لاستنباط ما يحتويه من مادة غزيرة في شكلها ومحتواها،ولما كان لهذا الأدب مكانة راقية بين النقاد لا يكاد يخلو مؤلف من المصادر القديمة من ذكر عقلاء المجانين و أدبهم الموسوم بالثقافة و النمو الفكري.

ب ــ نظرة النقاد له:

أما السبب وراء اهتمام النقاد والأدباء لهذا الأدب هو ابتعاده عن المنطق والفكر واتصاله بالعاطفة النبيلة الطاهرة لشخصية المبدع أو الأديب، فأسلوبه وأغراضه تتماشى مع ماعهده العرب ولكنه مختلف في هدفه وموضوعه، وبهذا احتل مكانة مميزة بفضل إصابتهم في القول وكشفوا عن أحاسيسهم بأقوال نادرة شاذة غريبة وقليلة الوجود والاستعمال عند الأدباء فهو جاء ليخدم الحقل الأدبي خاصة ولخدمة الناس عامة، لهذا حفظت أقوالهم لعلمهم وموهبتهم وحسن ما أتوا به من جيد الكلام، يقول ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة: «قال الأشهلي: قلت لأبي: يا أبة مثل هذا الكلام الجيد الصحيح يتكلم به مجنون؟ قال: يا بني هؤلاء قوم كان لهم فضل ودين ومعرفة فزالت عقولهم وبقي ذلك الفضل»[1]

[1]– ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص5

فهؤلاء المجانين يأتون بكلام لا نظير له في روعة الألفاظ وجمالها فتميزوا بمؤلفاتهم وحسن إخراجهم، وهذا لا يتوفر للمجانين عامة لأنهم يتفاوتون في طريقة التفكير والخبرة العلمية والأدبية، ضف إلى ذلك موهبتهم الفطرية التي تتجلى عند الأديب أو الشاعر.

ومن النقاد العرب الذين أشادوا بأن عقلاء المجانين قالوا كلاما فاقوا به أحكم حكماء وأبلغ بلغاء عصرهم وزمانهم وهذا ما أكده النيسبوري عما قيل عن سعدون المجنون مع الخليفة المتوكل «... قال: كتب المتوكل إلى عامله بالبصرة: بلغني أن قِبَلكَ رجلاً أديباً ظريفاً ذا حكمة فوجه به إلي على أحسن حال غير مروع »[1]فبعض هؤلاء المجانين تصدر عنهم حكم يعضون بها الناس والملوك في بعض الأحيان.

وهذا أيضا ما قاله عبد ربه الاندلسي عن بعض الشعراء المجانين بقوله: « قيل: وفد أعرابي من الشعراء المجانين الى نصر بن سيار بشعر تغزل فيه بمائة بيت ومدحه ببيتين فقال له: والله ما تركت قافية لطيفة ولا معنى إلا شغلت به نسيبك دون مدحك »[2] فقد كانوا ينظمون قصائدهم على طريقة العرب، ويهتمون بالقافية وكذلك الأغراض الشعرية.

ومن المجانين أيضا الذي تحدث عنه الأصفهاني في كتابه الأغاني جعيفران [*] بقوله: «وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً، وغلبت عليه المرّة السوداء، فاختلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه فقال الشعر الجيد. »[3] فلا شك أن الناقد في تعامله مع أدب عقلاء المجانين أن يتحلى بموضوعية لإظهار قيمته العلمية وخصائصه الجمالية والفنية، وليس بالنظر إلى صاحبه المجنون بل إلى كونه أديباً.

---

[1]– النيسبوري: عقلاء المجانين، ص135.

[2]– ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج7، ص186.

[*]– جعيفران: هو جعفر بن علي بن السري بن عبد الرحمن الأنباوي نشأ في بغداد كام شاعراً وأدبيا مطبوعا، فقد عرف أنه مجنون (قيس كاظم: معجم المجانين من الشعراء، ص73).

[3]– الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين) : كتاب الأغاني، ج20، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص340.

فمعظم مؤلفاتهم غلبت عليها الطبع والسليقة التي أبعدتهم عن العقل والمنطق والاستدلال به، لهذا جاء كلامهم بليغ رصين يسحر النفوس والقلوب «مر بعض الأدباء بمجنون يتكلم فتأملُ كلامه فإذا هو رصين يدور على الأصول »[1] فالعبارات التي يقولها أو يتفوه بها المجنون العاقل يحتوي على كثير من الوعظ والإرشاد، ويتأثر بها الناس كما تأثر بها الخلفاء والأمراء على مر العصور، وبهذا عاملوهم معاملة العاقلين، بل نظروا إليهم نظرة العقلاء وأصدق الأدباء في العصر.

[1]– النيسبوري: عقلاء المجانين، ص71.

الفصل الثاني

(مضامين أدب بهلول بن وهب وخصائصه)

أولا: مضامين الأدب في النثر والشعر.

ثانيا: تجليات الجنون والعقلنة وأغراضهما.

ثالثا: خصائص أدب بهلول بن وهب.

أولا: مضامين الأدب في النثر والشعر

طالما سمعنا الحكمة القائلة: خذ الحكمة من أفواه المجانين، ولما كان للمجانين كلامٌ منثور وشعر منظوم محكم جميل في شتى المضامين حاولنا رصد بعض مواضع هذه الأحاديث في أدبهم، وتخيرنا بهلول المجنون ليكون نموذجًا. فمن بين المضامين التي أبدع فيها أبو وهب الصيرفي من مليح كلامه:

1- الوعظ والإرشاد:

هذا ما نجده في معظم الأحيان مع الخليفة هارون الرشيد ففي يومٍ «خرج الرشيد إلى الحجّ، فلما كان بظهر الكوفة إذا هو ببهلول المجنون على قصبة وخلفه صبيان وهو يعدو فقال: من ذا؟ قالوا: بهلول المجنون.

قال: كنت أشتهي أن أراه فادعوه غير مروّع. فقالوا له: أجب أمير المؤمنين.فعدا على قصبته، فقال الرشيد: السلام عليك يا بهلول. فقال:وعليك السلام يا أمير المؤمنين قال:كنت إليك بالأشواق.قال: ولكني لم أشتق إليك، قال عظني يا بهلول، قال: وبم أعظك؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم. قال: زدني فقد أحسنت قال: يا أمير المؤمنين. من رزقه الله مالًا وجمالاً فعف في جماله وواسى من ماله كتب في ديوان الأبرار. فظنّ الرشيد أنّه يريد شيئا فقال: قد أمرنا أن يُقضي دينك. قال: كلا لا يُقضى دين بدين. أردد الحق على أهله واقض دين نفسك. هذه نفس واحدة إن هلكت ما انجبرت. قال الرشيد: فإنا قد أمرا أن يُجرى عليك فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لا يُعطيك وينساني، ثم ولى هاربًا »[1].

يتضح لنا من خلال هذا الحوار أن تصرفات بهلول لم تكن عائقا لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وهاهو الخليفة العباسي يطلب منه الحكمة والموعظة الحسنة، فذكره أنّ هذه

[1]- النيسبوري : عقلاء المجانين، ص140.

القصور لا تحول دون موته وأنه يومًا سيُوارى الثرى لا محاله، كما أخبره أنّ المال والجمال من نعم الله التي أصبغها على عباده، وأنه على المرء أن ينفق مما أعطاه الله في سبيله تعالى ولمّا أراد الرشيد أن يعطيه مالا ظنّا منه أنّه بحاجة إليه، أخبره بهلول: أنه عليه أوّلا أن يقضي دينه فلولا أخذه لمال الفقراء ما وُجدوا، وفي الأخير ذكره أن الخالق لا ينسى أحدًا من خلقه وليس هو بخير منه.

وهذا دالٌّ على معرفة أبي وهب بحقيقة الله عز وجل وصفاته، وحكمته في تقسيم الأرزاق على عباده، فمنهم من يرزقهم فتنة لهم، وهنالك من ينزع منهم ابتلاءً، فمنهم من يشكر ومنهم يصبر، والجاحدُ الظالم لنفسه يكفر، قال تعالى: { وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان الآية: 20].

هذا ولله في خلقه شؤون يُقرُّ بها المُؤمن الحقُّ.

2- الموت والفناء:

ولمّا كان ذكر المنية من سمات النُّساك راح بهلول يتذكر ويُذَكّر النّاسَ بأنّ حياتهم ستفنى ولن ينفعهم بعدها إلاّ العمل الصّالح، وممّا قال من مُحكم منظومه:

تُنَاديكَ أَحْدَاثُ وهُنَّ صُمُوت وَأَرْبَابهَا تَحْت التُرَاب خفوت

فيا جَامعَ الدُّنيَا حَريصًا لغَيْره لمن تجمع الدُّنْيَا وأَنْتَ تَمُوت [1]

يُذكّر بهلول المجنون أهل الدّنيا بالموت وأنَّ قبورهم تبنى وهم في غفلة عنها فالذّين كانوا ملوكًا في الأرض هم اليوم تحت التراب صامتون لا تسمع لهم حسيسًا، ثم إنَّ الأموال التي يجمعها المرء ويشقى ليلا ونهار ليحصلها وهو حريص عليها لا تنام عيناه، ستذهب لغيره ولن يستفيد منها شيئا.

[1]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص 621.

وقال أيضا يذكر العباد بلقاء الله:

يَا مَنْ تَمَتَّع بالدنيا وزينتها ولا تَنَامُ عَنْ اللذات عيناه

شغلت نفسك فيما لست تُدركه تقول لله ماذا حين تلقاه[1]

وفي هذين البيتين عتاب من أبي وهب لمن تعلّق بالدنيا وملذاتها وهو حريص عليها كل الحرص يتقلب في زينتها على جنبيه، ونسي لماذا بُثَّ في هذه الحياة، فهذه الأشياء التي تأخذ جلّ وقته لن يبلغها، ثم إنه يتساءل عن الجواب الذي سيُلاقي به هذا الغافلُ الله، بعد مغادرته هذا العالم الفاني صفر اليدين من كلَ عمل صالح ينفعه في آخرته.

و«قال عبد الخالق سمعت أبي يقول: سمعت بهلولا يقول: من كانت الآخرة اكبر همّه أتته الدنيا وهي راغمة»[2]، فمن اشتغل بالآخرة والحساب هانت عليه الدنيا وزينتها، واستيسرت أحزانها ومصاعبها.

3- الفقر والرّزق:

ولأنّ العبّاد ما كان همهم جمع المال ولملمةُ الدّراهم، كان لبهلول رأي في هذا، ذكر ابن الجوزي عند: سري السقطي قال: اجتزتُ يومًا بالمقابر فإذا أنا ببهلول المجنون قد دلَّى رجليه في قبر وهو يلعب بالتّراب فقلتُ: أنت ههنا؟ قال: نعم: أنا عند قومٍ لا يُؤذونني، وإن غبت عنهم لا يغتابوني، فقلت: يا بهلول الخبز قد غلا ! فقال: والله ما أبالي ولو حبَّة بمثقال ! إن علينا أن نعبده كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا»[3].

---

[1]- الكتبي(محمد بن شاكر): فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، م1، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1973م ص 229.

[2]- محسن الأمين : أعيان الشيعة، م3، ص 622.

[3]- ابن الجوزي : صفة الصفوة، تح: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 2012م، ص 509.

وهذا الكلام دالٌّ على عقلنه بهلول الذي يعي بأنَّ الله هو الرزَّاق للعباد وإنْ سعى العبد وراء رزقه راكضًا فإن منعه الله تعالى عليه فلا رادّ له إليه. أما وأن كان من قسمته فإنه يأتيه مجرورا إلى عقر داره.

ثم إنّ الرزق مقرون بالعبادة فكلما كان المرء عابدًا طائعًا لمولاه رزقه من خزائن رحمته، فما كان الرّزق يومًا يأتي بالقوة، ولكن بالعبادة، والوعد قائم بين المالك ومملوكه، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ»[الذاريات، الآية: 58].

فعلى قدر العبادة يكون الرّزق والتوفيق لا على قدر السّعي ومِمّا أُثر عن بهلول المجنون أنه قال:

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدًا ... اتبعت نفسك حتَّى شفّك الطلب

تسعى لرزق كفاك الله بغيته ... اقعد فرزقك قد يأتي به السّببُ

كم من دنيء ضعيف العقل تعرفه ... له الولاية والأرزاق والذهب

ومن حسيب له عقلٌ يزيّنه ... بادي الخصاصة لا يدري له سبب

فاسترزق الله مما في خزانته ... فالله يرزق لا عقل ولا حسب [1]

يُصوّر بهلول في هذه الأبيات حال طالب الرّزق والسَّاعي إليه فهو ما يزال مجتهدًا طالبا الرّزق حتى يزيد فيه ويربو، وإنَّما سعيه جزافا لأنّ رزقه مكتوب من ربّ العالمين، فيكفيه الله شقاء الطّلب لأن رزق العبد يصله على أهون سبب، فترى قليل العقل ذا مال وذا رتبة من غير سعي لأنّ الله قسم رزقه، وترى الفطن المحنَّك به خصاصة، وسببها أن الهع يسوق رزقه إلى من يشاء من عباده دون النّظر إلى صورهم وأحسابهم وأنسابهم.

ومما أنشد بهلول أيضًا قوله:

[1]– محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص 623.

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع

ولا تجمع من المال فما تدري لمن تجمع

فإنّ الرزق مقسوم وسوء الظنّ لا ينفع

فقير كلّ ذي حرصٍ غنيٌّ كل من يقنع[1]

وفي هذه الأبيات عِظة يدعو إليها بُهلول المجنون، وهي عدم الحرص على ملذات الحياة وشهواتها وأنَّ المال الذي يجمعه العبد قد يموت ويتركه خلفه فلا يدري لمن يذهب هذا الرّزق، لأنه كُتب مسبقا صاحبه الذي سيرجع إليه، فما الغنى إلَّا في القناعة، التي تجعل المرءُ مكتفيًا رغم الحاجة، على عكس الجَشع الذي كلما جمع مالًا تراءى له بأنه قليل لا يكفيه في حياته، فما الغنى إلَّا في القناعة لا في الجمع والتحصيل.

4- القضاء والعدل:

ولبهلول كلام منظوم في القضاء والحكم بين الناس بالعدل وإرجاع الحق إلى أصحابه فقال:

إذا خان الأمير وكاتباه وقاضيَ الأَرْضِ داهنَ في القضاء

فويلٌ ثمَّ وَيلٌ ثُمَّ ويلٌ لأهل الأرض من أهل السَّماء[2]

يُذكّر في هذين البيتين بأنَّ الله تعالى يرى الفاصل بين النّاسِ في حياتهم وحوائجهم، فإذا خان في الحكم وهو يعلم الحقّ، ووافق على المُنكر وشهد كاتباه الزُّور والباطل، فإنَّ غضب الله سيطاله، وسينتقم للمظلوم في الدُّنيا والآخرة، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ نفسه يحرّم على نفسه الظلم فكيف يُحلّه للنَّاس فيما بينهم.

[1]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، م 3، ص 622.

[2]- المصدر نفسه، ص 622.

وفي الغالب هذه هي معظم الأغراضِ التي وردت في أدب بهلول المجنون حيث تُترجم اعتقاده الدّيني الصُّوفي وتوافق تفكيره وتتماشى مع عقليته فهو لا يكاد ينسى الموت والفناء وكثيرًا ما يُذكر النّاس به لعلّهم بلقاء ربّهم يوقنون، ثم إنَّ العبد سيسأل عن أفعاله صغيرها وكبيرها، والانشغال بالآخرة والتّعلّق بالله جعله لا يهتم بزينة الحياة الدُّنيا، وهذه هي صفات عقلاء المجانين من المتصوّفة.

5_الحياء:

ولم يفت أبو وهب التحدث عن الحياء إذ أنها من صفات المؤمن مع ربّه ،يقول:

يا طالب الحور ألا تستحي يحملك النوم على السور؟!

وخاطب الحور طويل البكا مقيد الأعضاء محصور

لا يطعم الغَمْض فما إن له راحة جسم أو يرى الحور

في جنة زخرفها ذو العلا ينعم فيها كل محبور[1]

فالمراد من هته الأبيات كيف لطالب الحور وهو الحارس في سبيل الله_والحارس يحرسه الله_أن ينام و تغفوا أجفانه و ينسى الحراسة ولا يستحي من الله حتى و إن خُفِيَ عن أعين الناس.

[1]- محسن الأمين:أعيان الشيعة، ج3، ص622

ثانيا: تجليات الجنون والعقلنة وأغراضها:

إنّ النّاظر لأبي وهيب(بهلول) يُخيّل إليه أنّ هذا الرّجل مغيّب العقل مغلوب على أمره، أمّا الرّائي فهو يدرك أنّ هذا الجنون مجرّد حاجز تخفّى خلفه ليُحافظ على الحكمة والموعظة التي وُهبت له فالله تعالى: « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُواْ الْأَلْبَابِ» [سورة القرة، الآية 296].

وهذه الحكمة لا يعيها إلاّ ذو عقلٍ وعلم. وفيما يأتي نُلخص الأفعال التي تُبيّن لنا جنون بهلول، ونورد الأقوال التي نشي لنا بعقله.

1- تجليات الجنون و العقلنة في سلوك الأديب:

تجليّات الجنون	تجليّات العقلنة
يركض على قصبة وخلفه الصبيان	إجابته دعوة الرّشيد، وردّه التحية.
"ولكنّي لم أشتق إليك" الجرأة وسوء الرّد على الخليفة	وعظه لهارون الرّشيد وتذكيره له بالموت والفناء
فراره بعد إتمام الكلام	أمره بالعدل ورد الحقوق لأصحابها
جلوسه في المقابر واللّعب بالتّراب	حثّه على عبادة الله عزّ وجلّ وأنّ الرّزق منه تعالى لا من السّعي.
	الاستشهاد بالآيات القرآنية وحفظه لكتاب الله
ضربه لإمام المسلمين أبي حنيفة	الحلم على الأطفال
التّهكم وردّ السّخرية على من يسخر منه أو يحاول الاستهزاء به	ذكر المنية والبكاء من خشية الله جلّ شأنه

من خلال هذا التصنيف يتبين لنا أن بهلول لم يكن بالغافل ولا المتغافل عن أمور الدين و الدنيا، و إنما كان يتلاعب بالأفعال و الأقوال ليوصل فكرة محددة عجز عن إيصالها بغير هذه الطريقة، نظرا للأوضاع السائدة في عصره، والدال على ذلك

2- أغراض الجنون والعقلنة عند بهلول:

إنّ الأفعال والأقوال التي صدرت من أبي وهب الصيرفي لم تكن جزافا، بل كان لها أسباب تترجمها. وفيما يلي نذكر الأغراض التي أدّت ببهلول إلى القيام بهذه التصرفات والنّطق بهذا الكلام:

أ- أغراض الجنون:

- **إعتزاله وهروبه من النّاس:** ورد قي كتاب الكشكول عن السّري أنه قال: «خرجت يوما إلى المقابر فرأيت البهلول، فقلت: ما تصنع هنا؟ قال: أجالس قوما لا يؤذونني، وإن غفلت عن الآخرة يذكروننني، وإن غبت لم يغتابوني »[1]؛ الدّال من هذه الرّواية أن بهلولا كان يتجنب الناس ويهرب منهم لاجتناب أذيتهم له والغيبة فيه؛ لأنّ «من أراد أن يسلم دينه، ويستريح قلبه وبدنه ويقل غمه، فليعتزل الناس، لأنّ هذا زمان عزلة ووحدة »[2]، فراحة الإنسان تزداد كلما نقص من الناس حوله.

- **الجرأة مع الخليفة هارون الرّشيد:** يأخذنا العجب عندما نرى شخصاً جريئا في التّحدث مع الحكّام وإخبارهم بحقائق الأمور، فالمعلوم لدينا أنّ الملوك شديدو الحرص على مكانتهم، وإنذارهم بجورهم قد يكون ثمنه النّفسُ، ولكن إن صدر ذلك من مجنون لا يكون عليه جرماً لغياب عقله، فكان بهلول المجنون ينصح ويُرشد الرَّشيد والخليفة ينصت له ويعتبر دون أن

[1]- البهائي (محمد بن الحسين بن عبد الصّمد العاملي): الكشكول، تح: محمد السيد حسين المعلم، ج 1، د.ط، د.ت، ص62.

[2]- أبو عبد الرحمن السُلمى: الطبقات الصوفية، ص19.

يعاقبه «قيل أنّ بهلول أتى يومًا إلى قصر الرشيد فرأى المسند والمتكأ الذي هو مكان هارون وما رأى هارون فجلسَ في مكانه لحظة فرآه الخدمة الخاصة فضربوه وسحبوه عن مكان الخليفة فلما خرج هارون من داخل قصره رأى بهلول جالساً يبكي فسأل الخدم فقالوا جلس في مكانك فضربناه وسحبناه فزجرهم ونهرهم وقال له لا تبك فقال ياهارون ما أبكي على حالي ولكن أبكي على حالك أنا جلست مكانك هذا لحظة واحدة ضربوني هذه الضربة الشديدة وأنت جالس في هذا المكان طول عمرك كيف يكون حالك»[1].

فجرأة أبو وهب الصيرفي تتمظهر في جلوسه بمكان الخليفة دون إذن منه ومناداته باسمه، وتذكيره بأنّ المكان الذي يقعد فيه سيحاسب عليه إن لم يعدل ولم ينصف في رعيته.

- السُّخرية والتّهكّم:

غالبا ما يكون قليل العقل عرضة للسّخرية من قبل النّاس محاولة إثارة غضبه والضّحك منه، لكن مع عقلاء المجانين ينقلب السّحر على السّاحر، فقد قيل أنّ الوزير أراد أن يسخر من بهلول فقال: «له يوماً: يابهلول طب نفساً فإنّ الخليفة ولاّك على الخنازير والذّئاب.

فقال: إذا عرفت ذلك فالزم نفسك كي لا تخرج عن طاعتي وولايتي.

فضحك الحاضرون وخَجل الوزير»[2].

وهذا دليل على أنّ الوزير ليس أوفر من بهلول عقلا ولا سرعة بديهة وفطنة رغم المظهر الخارجي الذي يوحي يغير ذلك.

ومِمَّا روي أيضا أنْ: «جاء بعض النّاس وقال له: إنّ الأميرَ أمر أن يعطي لكلِّ مجنون درهمان، فقال له البهلول: اذهب سريعاً وخُذ نصيبك قبل أن يفوتك»[3].

---

[1]- محمد مهدي الحائري: شجرة طوبى، ص51.

[2]- الأصبهاني(الميرزا محمّد باقر الموسوي الخوانساري): روضات الجنّات في أحوال العلماء والسّادات، ج2، مكتبة الإسماعيليان، د.ط، د.ت، ص127.

[3]- ناصر الباقري البيد هندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص102.

-ضربه لإمام المسلمين أبو حنيفة: في بعض الأحيان يلتبس على المرء معرفة حقائق الأمور وتكثر فيها الآراء، وعندما لا يؤمن الإنسان إلاّ بالمادّيات تصبح الأمور المعنوية صعبة التّحقيق وخاصة فيما يتعلّق بالأمور الدّينية الغيبية، فلما كان هذا صادرٌ من أبي حنيفة ضربه أبو وهب المجنون فراح أبو حنيفة يشتكي أمره إلى الخليفة «فلما احضر بهلول وسئل عن السبب قال للخليفة إنّ هذا الرّجل غلط جعفر بن محمد (ص) في ثلاث مسائل: الأولى أنّ أبا حنيفة يزعم أنّ الأفعال كلّها لا فاعل لها إلاّ الله فهذه الشجّة من الله تعالى وما تقصيري، الثانية أنّه يقول كلّ شيء موجود لابُدّ أن يرى فهذا الوجع في رأسه موجود مع أنّه لا يريه أحد، الثالثة: أنه مخلوق من التراب وهذه المدرة من التراب وهو يقول إنّ الجنس لا يتعذب بجنسه فكيف يتألم من هذه المدرة فاعجب الخليفة كلامه وتَخلصه من شجة أبي حُنَيْفة»[1].

ففعلة بهلول هذه رغم أنّها غير عقلانية إلاّ أنّها حجّة قوية أرغمت إمام المسلمين على الإذعان والتصديق لما كان فيه من شكٍّ، فجلّ هذه الأفعال لم تكن صادرة عن جنون إنّما عن معرفة بالغة ووعي فطنٍ محنّك.

ب- أغراض العقلنة:

حفظ آيات الله عز وجل: وفي هذا نستطيع القول أنّ بهلول كان يتعرّض لمواقف لا يجدُ بُدٌّ إلا ويستشهد بالآيات القرآنية مُدافعاً بها عن نفسه وعن الحق، فعن علقمة الكلابي قال:«كتب بهلول إلى بشر المريسي: أمّا بعد فإنّك قد بعت الكثير الجليل بالمهين القليل وبدّلت كلام الله وحرّفته، فلعنك الله سائر دهركِ، ولعن من قالوا قولك، وسلّط عليك عذابه وجعلك « كَرَمَادٍ اشْتَدّت به الرِّيحُ في يَوْمٍ عَاصِف »، ثم كتب عنوانه من المجنون الوجل إلى الملعون الفشل »[2]. فهذا دالٌّ على حفظه لكتاب الله وتوظيف ما يحفظ في أقواله وكتاباته

[1]- الحائري: شجرة طوبى، ج3، ص51.

[2]- النيسبوري: عقلاء المجانين، ص157.

ليزيد المعنى بلاغة وايضاحاً، ومِمّا رُوي عنه أيضاً أنْ: «عَبثَ به الصبيان يوماً ففرَّ منهم والتجأ إلى دار بابها مفتوح فدخلها وصاحب الدّار قائم له ضفيرتان، فصاح به: ما أدخلك داري؟ فقال: ﴿يَا ذا القرنين إنّ يأجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُون فِي الأَرْضِ﴾[الكهف:94]».

الوعظ والإرشاد: ومن أغراض العقلنة عند بهلول المجنون أيضاً وعظه وتذكيره النّاس بأحوال الدّنيا وأنّها أهون مِمّا يُعزّونها، فقد قلل الحسن البصري: «أهينوا الدّنيا فوالله لأهنأُ ما تكون حين تُهينوها»[1].

ولما تيقّن أبو وهب الصّيرفي، راح ينصح النّاس ويرشدهم فقد «دخل ذات يوم على الرّشيد وهو يتنزّه إلى بعض عماراته الجديدة فسأله أن يكتب شيئا عليها. فأخذ بهلول فحمة وكتب بها على بعض الجدران: رفعت الطّين ووضعت الدّين. رفعت الجص ووضعت النّص، فإن كان من مالك فقد أسرفت والله لا يُحب المسرفين، وإن كان من مال غيرك. فقد ظلمت، والله لا يُحبُّ الظالمين»[2].

وبهذه الطّريقة التي يُحدث بها بهلول وينصح نعرف من خلالها القدرة العقلية التي ساعدته على توجيهه النّاس وارشادهم عن طريق الحكمة الظاهرة في كلامه.

الأمر بالعدل ورد الحقوق لأصحابها: إنّ الاشادة بالعدل والدّعوة إلى العمل به أمر مستعصي على من لم يذق طعم الظلم، ولم يعلم عقاب من يقتطع حق النّاس في الدّنيا والآخرة، ولمّا كان هذا الأمر واضحاً بّيناً لدى بهلول المجنون أخذ يأمر بالعدل والإنصاف ورد الحقوق لأصحابها، فمِمّا أُثر عنه في الدّعوة إلى العدل أن قال يوماً للخليفة: «أيّما رجل أتاه الله مالاً وجمالا وسلطاناً فأنفق ماله وعفّ جماله وعدل في سلطانه كتب في ديوان الله

[1]– أبو سعد منصور بن الحسين الأبي: نثر الدُّر، تح: مظهر الحجي، ج3، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د.ط، 1997، ص256.

[2]–الأصبهاني: روضات الجنات، ج2، ص127–128.

من الأبرار، فقال له الرشيد أحسنت وأمر له بجائزة. فقال لا حاجة لي فيها ردّها إلى من أخذتها منه»[1].

فالعدل والإحسان من الصفات التي تورث الإنسان أجرًا وبرًّا عند الله تعالى وأنّ الحقوق يجب أن تؤخذ من غير أصحابها وتعطى لمن هو أهل لها خير من أن تبقى عند المترفين الذين يسرفون أموالهم في غير الحق إلاّ الذين آمنوا.

الحلم عن الأطفال والصفح عنهم:

ومن دلائل العقلنة عند بهلول مسامحته الأطفال عند تعرّضهم له، ورغم ما يلقاه منهم من أذًى ومضايقته يبقى يعطف عليهم لطيشهم وسفاهتهم لعدم بلوغهم سنّ الرّشد وكمال العقل. رجاءاً لنيل رضا الله في حياته ومماته، فقد جاء في كتاب عقلاء المجانين عن سهل بن منصور أنّه قال: «رأيت الصبيان يرمون بهلولا بالحصى فأدمته حصاة فقال:

حسبي الله توكلت عليه من نواصي الخلق طرّاً بيديْه

ليس للهارب في مهربه أبدًا من راحةٍ إلا إليه

رُبَّ رامٍ لي بأحجار الأذى لم أجد بُدّا من العطف إليه

قلت له: تعطف عليهم وهم يرمونك؟ فقال: اسكت لعل الله يطّلع على غمي ووجعي وشدة فرح هؤلاء فيهب بعضنا بعض»[2].

فمعظم الأفعال الصّادرة م أبو وهب المجنون المُراد منها إرضاء الله عزّ وجل ورجاء رحمته، فعن عمر بن جابر الكوفي قال: «مرّ بهلول بصبيان كتاب فجعلوا يضربونه فدنوت من فقلت: لم لا تشكوهم لآبائهم فقال لي: اسكت فلعلّ إذا متّ يذكرون هذا الفرح فيقولون

[1]– محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص620.

[2]– النيسبوري: عقلاء المجانين، ص143.

رحم الله ذلك المجنون !»[1]، وهذا الموقف يدلّ على أنّ أبا وهبٍ الصيرفي يعمل من أجل الحسنات الجارية التي لا تنقطع حتّى بعد موته، فتأتيه الدّعوات التي تأنس وحشته في قبره.

ذكر المنيّة والبكاء من خشية الله تعالى: ولمّا كان الموت نهاية محتومة لكل شيء في الدّنيا وبداية حياة أخرى في الآخرة قد تكون سعيدة أو شقيّة كانت خشية بهلول من الرّحيل دون حمل الزّاد من التقوى والعمل الصالح يجعله يذكر هادم اللذّات في كلِّ حين وآن كي لا يتعلق بشيء فإن لا طائل من التّعلق به إذ أنّ الفراق لا بُدّ منه، فعن الفضيل قال: «دخلت الكوفة وأنا أريد الحج إلى بيت الله الحرام، وإذا بهلول جالس بين قبرين قديمين.

فقلن له: يابهلول ما جلوسك ههنا؟ قال: يافضيل أما ترى هذه الأعين السائلة، والمحاسن البالية، والشعور المتمعّطة، والجلود المتمزقة، والجماجم الخاوية، والعظام النّخرة، لا يقاربون بالأنساب، ولا يتواصلون تواصل الأحباب وكيف يتواصل من قد طحنتهم كلا كل البلاء وأكلت لحومهم الجنادل في الثّرى وخلت منهم المنازل والقرى وقد صارت عابسة بعد نظرتها والعظام نخرة بعد قوتها تجرّ عليهم الرّياح بذيولها، وتعصب عليهم السماء بسيولها »[2]. الغاية من قوله أن الجسد الكامل الخلق والقوّة لا يلبث أن يكون رميمُ من العظام تطأه الأقدام، وأنّ الأقرباء سيقطعون الزيارة والصلة، إذ يطول الأمل ويكون الجسد هباءاً منثوراً، وهذا دافع للإنسان كي لا يتجبر ويتكبر عن خلق الله مما أتاه الله من ملك، يقول في ذلك بهلول:

حقيق بالتواضع من يموت وحسب المرء من دنيا وقوت

فما للمرء يصبح ذا اهتمام وشُغلٍ لا تقوم لهُ النّعوت

ضيع مليكنا عن قريب وما أرزقنا مما يفوت

[1]– محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص620.

[2]–الأصبهاني: روضات الجنَّات، ج2، ص128.

فيا هذا سترحل عن قريب إلى قومٍ كلامهم السُّكوت.[1]

فالموت حقٌّ على كلِّ حيّ موجود فما من داعٍ للتّكبّر مادام الجسد سيفترش ويتوسد التراب، ومهما كان ذا ملك سينقطع ملكه ويبقى فرداً في ظُلمةِ القبر، لا ينفعه رزقه ولا جنده، وحين تُحال أمواله وأملاكه لغيره، يقول جلّ في علاه: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ(28)فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾[الدخان، الآية: 28-29].

وخلاصة القول أن جنون بهلول لم يكن مردّه إلى مرضٍ أو وسواس أو قلَّة حيلةٍ وفكرة بل على العكس كان هذا الجنون راجعٌ إلى دهائه وفطنته لنشر الوعي بين الرّعية في الدّين والدنيا وترهيب الرّاعي إن جَارَ أو ظلم من هول العقاب والحساب إذ لا حارسَ عليه إلاّ العمل الصالح والعدل والإنصاف، طبعاً مع الحفاظ على حياته ودينه.

أما الغرض من إظهار كمال عقله في بعض الأحايين فلِرَدِّ الضال إلى السبيل المستقيم والهداية إن شاء الله وأراد، وذلك عن طريق الحدّة والبرهان أو الترغيب والترهيب، وبهذا يكون قد فاز براحته وأقام حُجّته وربّما نجا من العقاب وألقى بالاّ ليوم الحساب، فلا خسر هذا ولا ذاك، ثم إنّه «لا يكتمل عقل الرّجل حتى يرضى بأن يقال إنّه مجنون»[2].

فإن خالف الناس وفاق ورعه وتأمله العقول رُمي بالجنون ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾[التكوير، الآية22].

[1]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص622.

[2]- البهائي: الكشكول، ج1، ص391.

ثالثا: خصائص أدب بهلول بن وهب

لقد تميز أدب عقلاء المجانين عن غيره من الآداب بسلاسة وبساطة لغتهم وسهولة أسلوبهم في لفظه ومعناه، ومن هؤلاء الشعراء الذي جعل من نفسه نابغة في قول الشعر والنثر وهو بهلول.

1- من حيث اللغة:

أ- الشعر: انفرد بهلول عن شعراء عصره بعبقريته الفنية من جهة والأدبية من جهة أخرى فقد عالج قضايا عصره بعبارات وألفاظ واضحة خفيفة على النف س. فمعظم المصطلحات التي استعملها في شعره سهلة، متداولة، خالية من التعقيد يفهمها العام والخاص، كما أن شعره كان مرتجلا حسب كل موقف، ولم يكن مدونا أو مجتهدًا في حفظه.

ولقد تنوعت الحقول الدلالية في أدبه، مع تركيزه على الحقل الديني، وتتجلى الحقول الدلالية في شعره كما يلي:

أ-1-الحقل الديني: تحدث فيه عن:

- **الموت:**

يقول:

حقيق بالتواضع من يموت وحسب المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا اهتمام وشُغْل لا تَقُومُ له النعوت
صنيع مليكنا حسن جميل وما أرزاقنا مما تفوت
فيا هذا سترحل عن قريب إلى قوم كلامهم السكوتُ [1]

والمصطلحات الدالة على الموت (يموت، النعوت، سترحل عن قريب، قوم كلامهم السكوت). فتذكر الموت من الأسباب الداعية إلى النفور من الدنيا و التعلق بالآخرة.

[1]- ناصر الباقري البيد هندي : بهلول ومواقفه المشرفة، ص 26.

-**ذكر الحساب والعقاب:** في قوله:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه

شغلت نفسك فيما ليست تذكره تقول لله ماذا حسن تلقاه[1]

والمصطلحات الدالة (لست تذكره، تقول لله، تلقاه).

- **التوكل:** يقول بهلول:

حسبي الله توكلت عليه من نواصي الخلق طرًّا بيديه

ليس للهارب في مهربه أبدًا من راحة إلا إليه

رُبَّ رامٍ لي بأحجار الأذى لم أجد بدا من العطف عليه[2]

والمصطلحات الدالة على التوكل (توكلت عليه، مهربه، إليه)، لأن المؤمن الحق يتوكل على الله في كل نائبة تصيبه، وهو ما فعله بهلول المجنون مع الأولاد.

ومن خلال هذا ارتأينا أن لغة بهلول في شعره كانت واضحة المعاني متناسقة الدلالات والحقول الدلالية في شعره كانت تدور حول حقل النصح فهو موجود عنده كثيرا ثم تحدث عن الموت والتوكل على الله و الفخر والمدح

ب- النثر:

كما تميزت لغة بهلول في شعره بالسلاسة، فقد انمازت لغته في النثر بحسن السبك وجودة النسج، والبراعة والدقة في التصوير ، فقد جمع في نثره مصطلحات سهلة، واضحة مفهومه، فكان معجمه اللغوي يتميز بالسهولة والبساطة، وهذا ما جعلها تأثّرُ في القلوب والنفوس.

وهي تعكس الحقول الدلالية التي استعملها بهلول في كلامه المنثور، وكلها تصب في حقل الحقل الديني وتتمثل فيما يلي:

---

[1]- يحي شامي: أروع ما قيل في الزهد، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص 63.

[2]- النيسبوري : عقلاء المجانين، ص 143.

ب-1-الحقل الديني:

- **الموت:** عن الفضيل قال: « دخلت الكوفة، وأنا أريد الحجّ إلى بيت الله الحرام إذا بهلول جالس بين قبرين. فقلت له: يا بهلول، ما جلوسك هاهنا؟ قال: يا فيضل، أما ترى هذه الأعين السائلة، والمحاسن البالية، والشعور المتمغّطة والجلود المتمزقة، والجماجم الحاوية. والعظام النخرة لا يقاربون بالأنساب، ولا يتواصلون تواصل الأحباب، وكيف يتواصل من قد طحنتهم كلاكل البلاء، وأكلت لحومهم الجنادل في الثرى، وخلت منهم المنازل والقرى قد صارت عابسة بعد نضرتها، والعظام نخرة بعد قوّتها تجرّ عليهم الرياح بذيولها، وتعصّب عليهم السماء بسيول»[1].

لقد أورد بهلول مصطلحات متعلقة بالموت نحو:(قبر، الأعين السائلة، والمحاسن البالية المتمغّطة، الجلود المتمزقة، الجماجم، العظام، لا يقاربون، لا يتواصلون، كلاكل البلاء أكلت لحومهم الجنادل الثرى، نخرة.)

-**الوصية:** فعن الحُسين الصُقلي قال: « زار سعدون بهلولاً فنظرتُ إليهما فسمعتُ سعدونًا يقول لبهلول: أوصني وإلاّ أوصيك، فناداه بهلول: أوصني يا أخي.فقال :أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وفكها حبسك: فإن هذه الدنيا ليست لك بدارٍ.فقال له بهلول: أنا أوصيك يا أخي، قال: قل، فقال: اجعل جوارحك مطيَّتك واحمل عليها زاد معرفتك، واسلك بها طريق تَلَفِك، فإن ذَكَّرَتْك ثقل الحمل فذكرها عاقبة البلوغ، فلم يزالا يبكيان جميعًا، حتى خشيتُ عليهما الفناء»[2]. فالمصطلحات التالية (أوصني، حفظ نفسك، فكها من حبسك، الدنيا ليست لك بدار، جوارحك مطيتك، زاد معرفتك، طريق، ذكرتك ثقل الحمل، عاقبة البلوغ، يبكيان خشيت). فهو يوصيه بعدم التعلق بالدنيا وتذكر الآخرة دار الخلود.

---

[1]- ينظر: ناصر الباقري البيد الهندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص87-88.

[2]-الفيبوري: عقلاء المجانين،ص154.

2- من حيث الأسلوب

أ-الشعر:

لقد جمع بهلول في كلامه المنظوم بين معجم لغوي بسيط واضح وأسلوب لا يكاد يخلو من هذه البساطة، فالأسلوب عند أحمد الشايب هو: «طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه»[1] وبهذا يكون بهلول قد استخدم في شعره نوعين من الأساليب.

أ-1-**الأساليب الخبرية:** وهو الذي «يحتمل الصدق إن كان مطابقا للواقع...والكذب إن كان غير مطابق للواقع»[2]. ويظهر ذلك في مجموعة من الأغراض منها:

-**التحذير:** في قوله:

ان كنت تهواهم حقًا بلا كذب فالزم جنونك في جد وفي لعب

اياك من أن يقولوا عاقل فطن فتبتلى بطويل الكد والنصب

مولاك يعلم ما تطويه من خلق فما يضرب أن سبوك بالكذب[3]

إن بهلول لا يقصد نقل أخبار، بل أراد أن يحذر من يهوى أل البيت من العدول عن رأيه.

-**التوكل:** يقول في هذا

حسبي الله توكلت عليه من نواصي الخلق طرا بيديه

ليس للهارب في مهربه أبدًا من راحة إلا إليه

رب رام لي بأحجار الأذى لم أجد بدًا من العطف عليه[4]

---

[1]- أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1991، ص44.

[2]- ينظر : محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، ط1، 2003 ص269.

[3]- محسن الأمين : أعيان الشيعة، م3، ص 619.

[4]- المصدر نفسه، ص620.

فبهلول يهدف إلى إظهار ضعفه وعدم قدرته على مجابهة من يتسببون له بأذى، فيلجأ إلى التوكل على الله وهذا من صفات المؤمن.

أ-2-الأساليب الإنشائية:

أما الأسلوب الإنشائي فهو «مالا يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب»[1] وينقسم إلى قسمين طلبي الذي هو «ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب » وخاصة الأمر، والنهي، والاستفهام، التمني والنداء. أما غير طلبي «ما لا يستدعي مطلوبا، وله صيغ كثيرة ومنها: المدح والذم، وصيغ العقود والقسم، والتعجب، والرجاء»[2].

-الاستفهام:

والاستفهام عند أهل البلاغة هو «طلب الفهم وهو استخبارك عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم به»[3].

يقول بهلول: أ تهاونت بالإله بديا وتواريت عن عيون العبيد

أقرأت القرآن أم لست تقرأ أن ذا العرش دون حبل الوريد[4]

جاء الاستفهام بالهمزة (أ) وغرضه التقرير والتأكيد.

-النداء:

وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية، ومما قاله بهلول في هذا:

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدًا أتعبت نفسك حتى شفك الطلبُ

تسعى لرزق كفاك الله بغيته أقعد فرزقك قد يأتي به السببُ[5]

جاءت (يا) لنداء البعيد وغرضها التنبيه.

---

[1]- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة، ص282.

[2]- المرجع نفسه، ص282.

[3]- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ط4 1997، ص168.

[4]- ناصر الباقري البيد الهندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص27.

[5]- النيسبوري: عقلاء المجانين، ص151.

-النهي:

وهو من الأساليب الطلبية وهو «طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة وهي فعل المضارع ولا ناهية»[1] .

ومن أساليب النهي قوله:

ولا تجمع من المال فلا تدري لمن تجمع

فإن الرزق مقسوم وسوء الظَّنِ لا ينفع

فقير كل ذي حرص غني كل من يقنع[2]

فهو ينهى عن جمع المال وادّخاره في قوله: لا تجمع.

- الأمر:

يعد من الأساليب الإنشائية الطلبية وهو «طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء»[3].

وأسلوب الأمر عند بهلول في قوله:

ادن مني ولا تخافنّ غدري ليس يخشى الخليل غدر الخليل

اربى الذي ينالك مني ستر ما يتقي وبث الجميل[4]

أسلوب إنشائي طلبي جاء بصيغة الأمر وغرضه النصح والإرشاد.

جمع بهلول في شعره بين الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية الطلبية، فالاستفهام كان له حضوره ولكنه لم يكثف منه، والنداء الذي وجد هو الآخر ليجلب انتباه السامع وأقل الأغراض استعمالا النهي والأمر، ولم ترد بقية الأغراض غير طلبية، أما بالنسبة إلى الأساليب الخبرية كانت متنوعة والنصح والوصية والتحذير، فالأساليب الخبرية أكثر استعمالا من الإنشائية والسبب في ذلك محاولة الشاعر جلب انتباه القارئ وإقناعه بأفكاره والتأثير

[1]- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ص154.

[2]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص622.

[3]- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة، ص283.

[4]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص618

عليه.أما الخبرية فتهدف إلى تقرير المعنى وتوضيحه لتكون قصائده أكثر وضوحًا وأعمق دلالة.

ب- النثر:

تتجلى الجمالية الأسلوبية في نثر بهلول ببساطتها وروعتها اللفظية وحسن تأليفها وقدرتها على الإقناع، لهذا ربط بين الأساليب الخبرية و الإنشائية.

ب-1- **الأساليب الخبرية:**

في قوله: «عمّر الله مجلسك، وأسبغ نعمه عليك، وأوضح برهان الحق لديك، وأراك الحق حقاً، وأعانك على أتباعه، وأراك الباطل باطلاً، وأعانك على اجتنابه.»[1]. وغرضه النصح.

وقوله أيضا: «أما بعد فإن السّماء بأكنافها ونور كواكبها وضياء شمسها وقمرها وصفوف ملائكتها والعرش والملائكة المقرّبين والحجب المزدلفة بقدرة خالقها والنّار وزبانيتها والجنّة وسُندُسها والأرضين وجبالها، والجبال وكهوفها ،والحيتان في بحارها، والوحش في قفارها والجنّ في أقطارها، والطير في أوكارها، والسباع في أوجارها والأشجار وثمارها يسبّحون له في الغدوّ والآصال »[2].أسلوب خبري غرضه المدح والتعظيم والإجلال لله عز وجل.

ب-2- **الأساليب الإنشائية:** وتتمثل فيما يلي:

-الاستفهام:

نحو قوله: «أكنت معه حين كلّم موسى »[3]، أداة الاستفهام هي الهمزة وغرضه إثبات والتقرير.

وقوله أيضا «انّ كل ما هو موجود مرئي، فسله عن هذا الألم الّذي حصل له من هذه الشجّة أهو مرئيّ أم لا؟»[4]

---

[1]- ناصر الباقري البيد هندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص43.

[2]- المرجع نفسه، ص49-50.

[3]- المرجع نفسه، ص49.

[4]- المرجع نفسه : ص40.

وأداة الاستفهام هي الهمزة وغرضه التصديق.

- النداء

نحو قوله: « يا أمير المؤمنين، من رزقه الله مالاً وجمالاً فعفّ في جماله وواسى من ماله كتب في ديوان الأبرار.»[1]وأداة النداء (يا) وغرضه التنبيه.

وقال أيضا: «يا عبد العزيز، أحسن مجاورة النعم بالشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء»[2] وأداة النداء (يا) وغرضه التنبيه.

-التمني:

«هو طلب أمر محبوب لا يُرجى حصوله لسبب من اثنين، إما :لكونه مستحيلا أو لكونه ممكنا غير مطموع في نيله»[3].

كقول بهلول: «...أجيئكم يوم الأضحى فعسى أن يكون عندكم لحمُ»[4].

أسلوب تمني وأداته (عسى) وغرضه الأدبي التمني.

وقوله أيضا: «...فقال لي: أسكت فلعلّي إذا متُّ يذكرون هذا الفرح فيقولون: رحم الله ذلك المجنون»[5].وأداة التمني (لعل) وغرضه التمني.

وقوله أيضا: «أسكت؛ لعلّ الله يطلع على غمّي ووجعي وشدة فرح هؤلاء فَيَهَب بعضنا لبعض.»[6]

أداة التمني (لعل)وغرضه التمني.

---

[1]- النيسبوري: عقلاء المجانين، ص140.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص95.

[3]- محمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة، ص303.

[4]- ناصر الباقري البيد هندي: بهلول ومواقفه المشرفة،ص55.

[5]- ينظر: النيسبوري: عقلاء المجانين، ص147.

[6]- ناصر الباقري البيد هندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص85.

-القسم:

كقول بهلول: «والله ما أبالي ولو حبة بمثقال إن علينا أن نعبده كما أمرنا، وعلي هـ أن يرزقنا كما وعدنا»[1]أسلوب إنشائي غير طلبي وغرضه التوكيد.

وقوله أيضا: «فو الله لقد كانت تُزقُ لي الفَرخَ فأرى الرُّعونَةَ في طيرانه»[2].

نوّع بهلول في الأساليب (الخبرية والإنشائية) ليجلب انتباه المتلقي، ثم النهي عن الأفعال القبيحة التي أمر الله بابتعاد عنها، والتمني ،وتطرق إلى الغير طلبية كالقسم، وبهذا يتكون الإنشائية أكبر من الخبرية، فهو في يهدف إلى الوعظ وإرشا د الناس وأثرها الأدبي هو وضوح المعاني وجمال الألفاظ.

3- من حيث الصور البيانية

أ- الشعر

لكي يطف بهلول على قصائده جمالية والشعرية نوع في استخدام الصور الشعرية المبتكرة، كتشبيه والاستعارة وكناية ومجاز، ومن هذه الصور نذكر:

-التشبيه:

من أهم الآليات التي اعتمد عليها بهلول التشبيه «الدلالة على مشاركة أمرِ لآخر في معنى»[3] يقول بهلول:

شبهته قمرًا إذ مر مبتسمًا فكاد يجرحه التشبيه أو كلما

ومر في خاطري تقبيل وجنته فسيلت فكرتي في وجنتيه دمًا [4]

في هذا البيت تشبيه، حيث شبه صديقه بالقمر، فأداة التشبيه هي (شبهته) والمشبه به: الرجل أو الصديق، أما وجه الشبه بين الصديق والقمر هي الجمال.

---

[1]- ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص510.

[2]- المصدر نفسه، ص100.

[3]- عبد المتعال الصعيدي : بُغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج3، مكتبة الآداب، القاهرة، ط10، 1999، ص7.

[4]- محسن الأمين : مرجع سبق ذكره، ص618.

أما الاستعارة هي قسم من أقسام الصور البيانية ،فقد عرفها الجرجاني بقوله: « ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبَّه من البيِّن»[1].

وقد قسمها البلاغيون إلى قسمين هما: استعارة مكنية «أن تذكر المشبه، وتريد به المشبه به»[2].

أما الاستعارة التّصريحية فهي «ما صُرِّحَ فيها بلفظ المستعار منه (المشبه به) وحذف المستعار له (المشبه)»[3].

يقول بهلول:

تناديك أحداث وهن صموت وأربابه تحت التراب خفوت[4]

استعارة مكنية في قوله (تناديك أحداث) حيث شبه الأحداث بالإنسان فحذف المشبه به الإنسان وترك شيئا من خصائصه ألا وهو (تناديك)

ويقول أيضا:

يا خاطب الدنيا إلى نفسه تنح عن خطبتها تسليم[5]

استعارة مكنية في قوله (يا خاطب الدنيا إلى نفسه) حيث شبه الدنيا بالعروس فحذف المشبه (العروس) وترك شيئا من خصائصه ليدل عليه (خاطب).

-المجاز:

جاء في كتاب الإيضاح أن المجاز «هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه، لضرب من التأويل»[6] .

يقول بهلول:

---

[1]- الجرجاني (علي بن محمد بن علي): معجم التعريفات ، تح: إبراهيم الابياري، دار الريان للتراث، د.ط، د.ت، ص35.

[2]- السكاكي (أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي): مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1983، ص378.

[3]- محمد احمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة، ص199.

[4]- ناصر الباقري البيد الهندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص31.

[5]- المصدر نفسه، ص622.

[6]- السكاكي: مفتاح العلوم، ص393.

أتهاونت بالإله بديا وتواريت عن عيون العبيد[1]

فالكلمة مستعملة استعمالا مجازيا هي في عبارة (عيون) والمراد بها (الإنسان)، وعلاقة العيون بالإنسان هي علاقة الجزء من الكل فالعين جزء من الإنسان، إذن علاقته جزئية.

-الكناية:

الكناية بمعناها العام هو «لفظ أريدَ به غير معناه الذي وُضعَ له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعةٍ من إرادته»[2].

يقول بهلول:

فيا هذا سترحل عن قريب إلى قوم كلامهم سكوت[3]

كناية في قوله (قوم كلامهم السكوت) كناية عن حالة الهدوء والسكينة بعد الموت .

ب- النثر

- الكناية:

لم ترد الكناية في نصوصه النثرية إلا قليلا فقد ابتعد عن التكلف فكان صريحا في معظم كلامه، وهذه بعض النماذج التي وردت عنه.

قوله: «إمامي (من سبح في كفه الحصى)»[4]، كناية عن صفة التقوى الخالصة والعدل.

وقال أيضا: «وجُعل مِلاطها من البهاء والنور وملئ خيامها من ملهياتٍ »[5]، في هذا القول كناية عن موصوف وهي الجنة ونعيمها.

---

[1]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص622.

[2]- محمد التونجي : المعجم المفصل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص729.

[3]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص622.

[4]- ناصر الباقري البيد هندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص45.

[5]- النيسبوري: عقلاء المجانين، ص149.

- الاستعارة:

من الصور الشعرية الأخرى التي استخدمها بهلول في شعره الاستعارة التي أضفت جمالا وإيحاءً.

كقوله: «كلّمه الذئب إذ عوى»[1] استعارة مكنية لأنه شبه الذئب بالإنسان فحذف المشبه به (الإنسان) وترك شيئاً من خصائصه ليدل عليه(كلمه).

نستنتج مما سبق أن هذه الصورة البيانية ساهمت كثيراً في إيضاح المعني ونقلها في صورة جلية، وتترك أثرها على المتلقي.

4- من حيث الموسيقى:

4-أ-الشعر:

تعد الموسيقى من أهم العناصر الجمالية والذوقية للشعر العربي القديم «فليس الشعر في الحقيقة إلا كلامًا موسيقيا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب »[2] وهذه الموسيقى تنقسم إلى نوعين خارجية وداخلية، أما الخارجية فتتجلى في الوزن والقافية، فالشعر منذ القديم هو «الكلام الموزون المقفى»[3]، والداخلية تتجلى في الكلمات والعبارات وحسن ترتيبها وانسجامها وتتمحور حول التكرار والتصريع والمقابلة والطباق والسجع والاقتباس وهلم جرًا.

أ-1-الموسيقى الخارجية:

أما الموسيقى الخارجية فتتجلى في كيفية استعمال الشاعر للأوزان الشعرية المعتمدة عند جميع شعراء الشعر العمودي، ومنها:

أ-**البحور الشعرية:** فمن البحور الشعرية الخليلية المستعملة عند بهلول، البحر البسيط والطويل والوافر والهزج، وعلى قافية مختلفة، لهذا أخذنا عدة نماذج وأولها:

---

[1]- ناصر الباقري البيد هندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص45.

[2]- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952، ص15.

[3]- المرجع نفسه، ص19.

البحر البسيط: في قوله:

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدًا أتعبت نفسك حتى شفَّك الطلبُ [1]

يَاْ طَاْلِبَ لْرِزْقِ فِيْ آفَاْقِ مُجْتَهِدَنْ أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ حَتْتَىْ شَفْفَكَ طْطَلَبُوْ

0/// 0//0/0/// 0//0/0/ 0/// 0//0/0// 0//0/ 0//0/0/

فعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن

وأهم التغيرات التي طرأت على تفعيلات هي: فاعلن أصبحت فعلن .

البحر الطويل: في قوله:

تُنَاديك أحداث وهنَّ صموت وأربابها تحت التراب خفوتُ [2]

تُنَاْدِيْكَ أَحْدَاْثُنْ وَهُنْنَ صُمُوْتُوْ وَأَرْبَاْبُهَاْ تَحْتَ تْتُرَاْبِ خُفُوْتُوْ

0/0// /0// 0/0/0// 0/0// 0/0// //0// 0/0/0// 0/0//

فعولن مفاعيلن فعول مفاعي فعولن مفاعيلن فعول مفاعي

وأهم التغيرات فعولن تصبح فعول ومفاعيلن أصبحت مفاعي للضرورة الشعرية.

البحر الوافر: في قوله:

فعدّك قد ملأت الأرضّ طرّا ودانَ لك العبادُ فكان ماذا [3]

فَعِدْدَكَ قَدْ مَلَأْتَ لْأَرْضَ طُرْرَنْ وَدَاْنَ لَكَ لْعِبَاْدُ فَكَاْنَ مَاْذَاْ

0/0// 0///0// 0///0// 0/0// 0/0/0// 0///0//

فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلْتن مفاعلتن

وقد دخلت عليه بعض التغير في تفعيلة مفاعلتن تصبح مفاعلْتن.

ومن البحر الهزج قوله:

وكم تنقل من يفنى بمن يفنى إلى الصَّحرا [4]

---

[1]– النيسبوري: عقلاء المجانين، ص151.

[2]– ناصر الباقري البيد الهندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص31.

[3]– المرجع، نفسه، ص63.

[4]– المرجع نفسه، ص31.

وَكَمْ تَنْقُلُ مَنْ يَفْنَىْ بِمَنْ يَفْنَىْ إِلَ صْصَحْرَاْ

0/0/0 // 0/0/ 0// 0/0/ 0/ //0/0//

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيل

نلاحظ أن الشاعر اضطر إلى إدخال بعض التغيرات على تفعيلات الهزج : مفاعيلن أصبحت مفاعيل.

استخدم بهلول البحور الشعرية الشائعة عند الشعراء العرب والتي تشتمل على إيقاعات جميلة تسحر النفوس والقلوب، وابتعد عن البحور اقل شيوعًا واستعمالا عند الشعراء عصره.

-القافية:

ارتبطت القافية بالشعر العربي القديم، فهي «ليست إلا عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءًا هامًا من الموسيقى الشعرية»[1]. أما الروي فهو «صوت تنسب له القصائد أحيانًا »[2] ، ولم يخلو شعر أبو وهب من حروف الروي الأكثر شيوعاً نحو:

-حرف الميم: في قوله:

برئت إلى الله من ظالم لبسط النبي أبي فاطم[3]

فحرف الميم هو حرف الروي الذي يستخدمه الشعراء بكثرة في قصائدهم، وهذا ما نلاحظه في مقطوعات بهلول.

-حرف اللام: في قوله:

أدن مني ولا تخافن غدري ليس يخشى الخليل غدر الخليل[4]

[1]- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص244.

[2]-المرجع نفسه، ص245.

[3]- محسن أمين: أعيان الشيعة، م3، ص618.

[4]- المصدر نفسه، ص618.

- **حرف الباء:** في قوله:

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدًا أتعبت نفسك حتى شفك الطلب [1]

-**حرف العين:** في قوله:

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع [2]

- **حرف الراء:** في قوله:

قوم إذا قاتلوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو بانت بأطهار [3]

يتضح لنا من خلال ما سبق أن بهلول استعمل الحروف الشائعة وابتعد عن استعمال حروف الوحشية كالضاد والطاء.

أ-2-الموسيقى الداخلية:

بما أن الموسيقى الخارجية تتجلى في البحور الشعرية القديمة من وزن وقافية، فهناك أيضا الداخلية التي هي «اختيار الكلمات وترتيبها منجهة ثم المشاكلة بين الأصوات هذه الكلمات والمعاني التي تدل عليها من جهة أخرى »[4] وقد توفر شعر بهلول على أنواع كثيرة كتكرار الكلمات والحروف وكذلك التصريع والمقابلة والطباق الاقتباس.

-التكرار:

وهو من أبرز الظواهر الشعرية عند بهلول، والتكرار هو «أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده سواء كان اللفظ مُتَّفِقَ المعنى أو مخْتَلفًا أو يأتي بمعنى ثم يعيده »[5]، فالتكرار يعطي قيمة جمالية وفنية، أو لإظهار شيء ما كالحزن أو السعادة أو للتأكيد، لهذا نجد الشاعر أكثر من استخدامه. ومن أمثلة تكرار الكلمات قوله:

---

[1]- محسن أمين: أعيان الشيعة، م3، ص623.

[2]- يحي الشامي: أروع ما قيل في الزهد، ص63.

[3]- ناصر الباقري بيد هندي: بهلول ومواقفه المشرقة، ص86.

[4]- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط11، ص80.

[5]- أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص173.

إذا خان الأمير وكاتباه و (قاضي) الأرض داهن في القضاء

ف(ويل)، ثم(ويل)، ثم(ويل) ل(قاضي)الأرض من (قاضي) السماء[1]

تكررت في المقطوعة لفظه (ويل) ثلاث مرات للترويع والتحذير من عقوبة الظلم، ثم كرر لفظه قاضي للزيادة في التنبيه، وأثره الموسيقى والغاية منه هي ترسيخ المعنى وتوطينه في النفس.

كذلك قوله:

برئت إلى الله من ظالم لبسط (النبي)(أبي) قاسم

ودنت إلهي بحب الوصي وحب (النبي)(أبي) فاطم[2]

(النبي) مرتين لتأكيد، ثم كرر (أبي) مرتين لتأكيد حبه الرسول صلى الله عليه وسلم.أما أثره فهو ترسيخ المعنى وتوطينه في النفس.

وقوله أيضا:

يا طالب (الرزق) في الآفاق مجتهدًا أتعبت نفسك حتى شفك الطلبُ

تسعى (لرزقٍ) كفاك (الله) بغيته أقعد ف(رزقك) قد يأتي به السبب

كم من دني ضعيف العقل تعرفه له الولاية و (الأرزاق) والذهب

وكم حسيب له عقل يزينه بادي الخصاصة لا يدرى نشب

(فاسترزق)(الله) مما في خزائنه (فالله)(يرزق) لا عقل ولا حسب[3]

كرر لفظة (الرزق) ستة مرات، ثم كرر (الله) ثلاث مرات للتأكيد والزيادة في التنبيه على طلب الرزق، أما أثره الموسيقي هو ترسيخ المعنى وتوطينه في النفس.

---

[1]– ناصر الباقري البيد هندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص29.

[2]– النيسبوري: عقلاء المجانين، ص143.

[3]– المصدر نفسه، ص151.

-التّصريع:

هو من أبرز الظواهر الموسيقية عند بهلول، وهو «ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص التصريع بنقصه، وتزيد بزيادته »[1]، فقد زخرت كثير من القصائد العربية بهذا نمط من الموسيقى، لأنه يعطيها إيقاعًا مميزًا، حيث جعل بهلول أغلب مقطوعاته الشعرية مصرّعة.

وأخذنا نماذج مختلفة من شعره نحو:

قوله:

تناديك أحداث وهن صموت وأربابها تحت التراب خفوت

فيا جامع الدنيا حريصا لغيره لمن تجمع الدنيا وأنت تموت[2]

فقد صرع في حرف التاء في عروض البيت وضربه(صموت و خفوت)

يقول أيضا:

حقيق بالتواضع من يموت وحسبُ المرء من دنياه قوت

فما المرء يصبح ذا اهتمام وشُغْل لا تقوم له النعوت[3]

فقد صرع في حرف التاء في عروض وضرب البيت(يموت و قوت).

التصريع في حرف التاء في عروض البيت وضربه (جفيت و نسيت).

ومن الملاحظ أن المقاطع الشعرية للبهلول، كانت مصرعة كلها، وبالتالي فالشاعر يتمتع بحاسة موسيقية مطبوعة خالية من التكليف والتعقيد.

---

[1]- ابن رشيق القيرواني(أبو على الحسن بن رشيق): العمدة في محاسن الشعر ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل، ط5، 1981، ص173.

[2]- ابن رشيق القيرواني(أبو على الحسن بن رشيق): العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ص621.

[3]- ناصر الباقري البيد الهندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص26.

-الطباق:

وعرفه الهاشمي بقوله «هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام »[1]وقد قسمه النقاد إلى نوعين هما: طباق إيجاب وطباق سلب.

وبهلول لم يكثر من استعماله ومن أمثلة ذلك

وقوله:

إذا تضايق الأمر فانتظر فرجًا فأضيق الضيق أدناه إلى الفرج[2]

جمع بين الضيق والفرج وهو طباق إيجاب، والغاية من الطباق هي الإيضاح؛ لأنّ الأشياء تتضح بضدها.

نستنتج مما سبق أن بهلول لم يكثر من استخدام الطباق بنوعيه، أما بالنسبة لأثر هذا الأخير هو الاستمرارية، ويعطي جرسًا موسيقيا تطرب له النفوس.

-المقابلة:

والمقابلة كما يعرفها السّكاكي هي: «أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما»[3] وبهلول لم يكثر من استخدامها بل تطرق إليها في بيت أو بيتين، ومن نماذج استخدامها قوله:

ما رغبتي الجنة أن أراها ورهبتي النار بأن أصلاها[4]

جمع في هذا البيت بين رغبة ورهبة والجنة والنار واحد.

وقوله أيضا:

فقير كل ذي حرص غني كل من يقنع[5]

---

[1]- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تد: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت د.ط، ص303.

[2]- المصدر نفسه، ص155.

[3]- السكاكي: مفتاح العلوم، ص424.

[4]- النيريوري: عقلاء المجانين، ص149.

[5]- يحي شامي: أروع ما قيل في الزهد، ص62.

جمع بين الفقير والغني وحرص وقناعه في بيت واحد.

ومن الملاحظ أن المقابلة لم ترد في شعر بهلول، وأثرها الفني هو إبراز المعنى وتقويته وإيضاحه.

-السّجع:

وهو من الظواهر البديعية في الشعر العربي ويعرف بأنه: «توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فِقَرُهُ»[1] فبهلول أكثر من استخدام هذا النوع من البديع، ومن نماذج ذلك:

ما قدر نفسي في رضى مولاها إن قتلت أو قاتلت أعداها

قالت لمولاها ومن مولاها ومن جنته هداها

ما رغبتي الجنة أن أراها ورهبتي النار بأن أصلاها[2]

فالكلمات المسجوعة هي: أعدها- هداها- أصلاها وكذلك رغبتي ورهبتي.

ويقول أيضا:

مالك جئنا فابعدي يا خاسره عني إلى دار الخلود الزاهره[3]

لله جئنا فاغربي يا قاصره

والكلمات المسجوع: خاسره – زاهره- قاصره

نستنتج مما سبق أن بهلول كانت له كلمات مسجوعة وفي أبيات متنوعة. أما عن أثرها الفني يحدث نغما موسيقيا ويثير النفس وتطرب عند سماعه الأذن.

---

[1]- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص330.

[2]- النيسبوري: عقلاء المجانين، ص149.

[3]- المصدر نفسه، ص150.

4- ب-النثر:

ب-1- الموسيقى الداخلية:

لقد اعتمد بهلول في نثره على الموسيقى لما لها من أهمية كبيرة في تصوير وتركيب النص الأدبي، وهذا يبدو جليا في حسن اختياره الألفاظ ومعانيه، وبما أن الموسيق ى عنصر أساسي وفعال في بناء النص، فنجد بهلول قد نوع في استخدامه للموسيقى الداخلية كالتكرار والطباق والجناس والسجع والاقتباس من القرآن الكريم.

-التكرار:

ونعني به تكرار بعض الكلمات والحروف لغرض التأكيد ومن صور تكرار الكلمات قوله: «أصلح الله الأمير؛ إن عليا [عليه السلام] من النبي كالشيء من الشيء والصنو من الصنو، وكالمفصل من الذراع »[1]، لقد كرر لفظة (الشيء) مرتين للتوضيح، ثم كرر لفظة (الصنو) كذلك مرتين للتوضيح وأنه على حق لا على باطل.

- الطباق:

هو أبرز الصور البديعية التي تطرق إليها بهلول ومن هذه الصور، ونجده في قوله: «يا من لا تحترك الجوارح دونه اقْضِ لعزيز حوائج الدنيا والآخرة »[2] جمع بين الدنيا والآخرة وهو طباق إيجاب.

وقال: «...وأراك الحق حقا، وأعانك على إتباعه، وأراك الباطل باطلا، وأعانك على اجتنابه»[3]، جمع بين الحق والباطل ونوعه طباق إيجاب.

وقوله: «في جد وفي لعب إياك من أن يقولوا»[4]جمع بن الجد ولعب ونوعه إيجاب.

ومن الملاحظ أن بهلول أكثر من استخدام الطباق لغرض وهو إظهار مشاعره وعواطفه ولكي يؤثر على نفسية المتلقي فهو يحتوي على جرس موسيقي يسحر القلوب قبل العقول، مع توضيح المراد من أقواله.

---

[1]- ناصر الباقري البيد هندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص46.

[2]- النيسبوي: عقلاء المجانين، ص141.

[3]- ناصر الباقري البيد الهندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص43.

[4]- المرجع نفسه، ص47.

- الجناس:

يعتبر الجناس من المحسنات اللفظية، فقد عرفه السكاكي بقوله «هو تشابه الكلمتين في اللفظ، والمعتبر منه في باب الاستحسان»[1]وقد زخرت نصوص بهلول بهذا النوع كقوله: «رفعت الطين، ووضعت الدين ورفعت الجص، ووضعت النص»[2].

جناس في لفظتين "الجص" و"النص" وهو الجناس الناقص.

وقوله: «يا هذا لقد تعجَّلتَ الجناية قبل العناية»[3]جناس في لفظة "الجناية" و "العناية".

ومن صور الجناس قوله«قال: وبمَ أعِظُك؟! هذه قصورهم وهذه قبورهم» [4] جناس بين لفظتين «قصورهم- قبورهم».

ويقول: «لا أصل ثابت ولا فرع نابت»[5].

جناس بين «ثابت ونابت».

لقد أبدع بهلول في استخدامه للجناس وخاصة الجناس المضارع وقد ابتكر ألفاظ تحمل العديد من الدلالات على القارئ أن يتعمق لكي يتمكن من كشوف أسرارها البديعية، فنجده أكثر استعمالا عنده، لأنه يحدث نغمًا موسيقيًا يثير في النفس الراحة والاطمئنان، لأن بضدها تتميز الأشياء.

-السجع:

بما أن السجع هو توافق في الحرف الأخير في الجمل وفقرات النص فقد كان حاضرًا في نثر بهلول، إلا أنه ليس كغيره من الكتّاب المتصنعين لهذا لم يسرف في استعماله ووضعه في موضعه، فقد أضفى على كلامه حسنًا وجمالا للتوضيح.

---

[1]- السكاكي: مفتاح العلوم، ص429.

[2]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص621.

[3]- النيسبوري: عقلاء المجانين، ص148.

[4]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص620.

[5]- ناصر الباقري البيد هندي: بهلول ومواقفه المشرفة، ص 104.

وقوله: «أيما رجل آتاه الله مالًا وجمالًا وسلطانًا »[1].ونلاحظ توافق في الفواصل «مالًا، جمالًا، سلطانًا ». ومنه أيضا: «ليس هذا سخاء هذه متاجرة ومرابحة »[2].هناك توافق في فواصل متاجرة ومرابحة.

وقال «اجعل جوارحك مطيتك واحمل عليها زاد معرفتك واسلك بها طريق تلفك فإن ذكرتك ثقل الحمل فذكرها عاقبة البلوغ»[3].

الألفاظ المسجوع: «مطيتك، معرفتك،تلفك ، ذكرتك».

وقوله: «أجالس أقواما لا يؤذونني وإن غبت عنهم لا يغتابونني»[4].

فالسجع في الألفاظ يؤذونني ويغتابونني.

من الملاحظ أن بهلول استعمل السجع، لأنه يحدث نغمًا موسيقيًا يثير النفس وتطرب إليه الأذن عند سماعه.

- **المقابلة:**

المقابلة عند بهلول كانت أقل شأنا وحضورا، حيث لم يستعملها إلا نادرًا، كقوله: «من الصادق المتواضع إلى الكاذب المتكبر »[5] مقابلة بين الصادق والمتواضع وبين الكاذب والمتكبر.

وقوله: «اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذلّ الطمع إلى عز الورع »[6]. فالمقابلة في قوله: ذلّ وعز وبين الطّمع والورع.

نستنتج مما سبق أن المقابلة لم ترد في نثر بهلول إلا قليلا وأثرها هو إبراز المعنى للنص وتقويته وتوضيحه، كما أنها تساعد على جلب انتباه المخاطب.

---

[1]- محسن الأمين: أعيان الشيعة، م3، ص620.

[2]- المصدر نفسه، ص621.

[3]- النيسبوري: عقلاء المجانين، ص154.

[4]- محسن أمين: أعيان الشيعة، م3، ص621.

[5]- المصدر نفسه، ص622.

[6]- النيسبوري: عقلاء المجانين، ص148.

خاتمة

في نهاية هذا البحث خلصنا لمجموعة من النتائج أهمها أن:

1- الآداب المغمورة غالبا ما تحمل في ثناياها فضح لفساد الأوضاع لعصر من العصور وعدم شهرتها سببه الخوف من الظلم والطغيان.

2- إن الأحوال الاجتماعية والسياسية دافع أساسي ينعكس إيجابا على الإنتاج، الأدبي رغم ما يعانيه الأديب.

3-عدم الاندماج في المجتمع والسير عكس التيار البشري ليس بالضرورة خطأ يرتكبه المرء.

4-أن إتباع الهوى لا يلبث أن يكون داءً يصيب العقل ويحط من قيمة الإنسان ويفقده الإحساس بكرامته، إذ يتساوى مع الحيوان.

5- الحب الإلهي هو أسمى المشاعر الروحية التي يمكن أن تختلج في نفس المرء، إذ ترفع به لإدراك الحقائق ومعرفة أسباب الخلق وأسرار الوجود.

6_الجنون هو درع النخبة المثقفة التي كانت ولازالت تمثل خطرا على الفساد وتشي بالمفسدين.

7_عقلاء المجانين من أهم الأدباء الذين أيقضوا روح الأدب، لأن الأصل في الأخير هو تحرير الإنسان من الذل والهوان.

8_إبراز الفرق الشاسع بين من يفقد عقله في سبيل حب الله وما يحبه ويرضاه، والجنون بسبب الهوى وما يفضي إليه.

9_تبوء عقلاء المجانين قيمة كبيرة وجليلة عند النقاد لأنه صادر من طائفة رفعت راية محاربة الظلم ونصر الفئة الهشة.

10-عقلاء المجانين أهل علم وأدب ودراية بأصول الدين وأصحاب فطنة وحنكة رغم أفعالهم الجنونية.

11_إظهار شجاعة بهلول في الساحة السياسة وإفحامه للخليفة هارون الرشيد رغم بطشه وجبروته.

12-حسن استخدام اللغة والأسلوب عند بهلول رغم ارتجاله في أدبه حسب المواقف.

الملخص

تضمن هذا البحث الموسوم بعنوان: (عقلاء المجانين في الأدب العربي القديم أبو وهب بهلول بن عمرو بن المغيرة نموذجا) احد أهم الأدباء الذين أنتجوا لنا أدبا جديدا يخالف المعتاد في ظل الأحكام السياسية المستبدة وتشيع المذاهب الدينية وصرامة الأوضاع الاجتماعية.

وقد تضمن هذا البحث مدخلا وفصلين.

أما المدخل فعنوانه(المجنون وعصره)عرّفنا فيه ببهلول وعصره و ببعض المفاهيم المتداولة في البحث.

بينما الفصل الأول فموسوم ب(بصمة عقلاء المجانين في الأدب العربي القديم) وقد وضعنا فيه أيدينا على الإضافات التي أضافها عقلاء المجانين للتراث الأدبي.

والفصل الثاني عنوانه (مضامين أدب بهلول بن وهب وخصائصه) فقد عالجنا فيه مضامين أدب بهلول وكذا تجليات العقلنة والجنون في سلوكه، وختمناه ببيان خصائص لغته وأسلوبه.

وأنهينا البحث بخاتمة تضمّنت النتائج التي توصلنا إليها ابْتغاء التعرف على ما أنتجه عقلاء المجانين من تراث أدبي عريق يخدم الثقافة و الفكر العربيين.

Résumé :

Cette recherche inclinait le titre (des sages fous de la littérature ancienne Abou ouaheb Bahloul Ben omarou Ben Almoghira modèle) L'un des écrivains les plus importants qui a réalisé une littérature nouvelle contraire à la normale dans l'ombre de la tyrannie politique et de la propagation des doctrines religieuses et de la sévérité des conditions sociales

Afin d'accomplir ce travail, nous nous sommes basés sur un plan de rechercher sous la forme d'une introduction, d'une préface et de deux chapitres.

Le portail et son titre (folie et son époque) nous ont permis de connaitre Bahloul et son âge et certains des concepts

Commercialisés dans la recherche .Le premier chapitre est marqué par (empreintes digitales des sages de la littérature ancienne),où nous mettons la main sur les effets ajoutés parles sages fous du patrimoine littéraire .Le deuxième chapitre est intitulé «Le contenu de la littérature de Bahloul et ses caractéristiques .Nous avons traité du contenu de la littérature de Bahloul » ,ainsi que des manifestations de rationalisation et de folie de son comportement, et nous avons conclu par un exposé des caractéristiques de son langage et de son style . Nous avons conclu la recherche par une conclusion incluant les résultats obtenus afin d'identifier ce que les sages fous de l'ancien patrimoine littéraire produisaient au service de la culture et de la pensée arabes.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش.**

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

1 -الأصبهاني (الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري): روضات الجنّات في أحوال العلماء والسّادات، ج2، مكتبة الاسماعيليان، د. ط، د. ت.

2 -الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين): كتاب الأغاني، ج 20، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

3 -الأندلسي (أحمد بن محمد بن عبد الأندلسي): العقل الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

4 -الأندلسي (علي بن حزم): طوق الحمامة في الألفة والآلاف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2016.

5 -البهائي (محمد بن الحسين بن عبد الصَّمد العاملي): الكشكول، تح: محمد السيد حسين المعلّم، ج1، د.ط، د.ت.

6 -البيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين): الزهد الكبير، تح: عامر أحمد حيدر، دار الجنان، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

7 -ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): أولياء الله ليسوا مجانين، تعليق: محمد شاكر الشريف د. د. النشر، ط1، 1412هـ.

8 -ابن تميمة: فقه التصّوف، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

9 -الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البخلاء، تح: طه الحاجري، دار المعارف القاهرة، مصر، ط5، د.ت.

10 -الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون ج2، مكتبة الخناجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998.

11 –الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج 6، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البالي الحلبي واولاده، مصر، ط2، 1967.

12 –ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان): أخبار الأذكياء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان ط1، 2003م.

13 –ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان): ذّم الهوى، تح: خالد عبد اللّطيف السّبع العلمي دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

14 –ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان): صفة الصفوة، تح: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ط، 2012م.

15 –ابن الجوزي (أبو فرج عبد الرحمان): صيد الخاطر، تح: عبد القادر أحمد عطا دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

16 –ابن رشيق القيرواني (أبي علي الحسن بن رشيق): العمدة في محاسن الشعر، ونقده تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل، ط5، 1981م.

17 –أبو سعد منصور بن الحسين الآبي: نثر الدر، تح: مظهر الحجّي، ج 3، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د.ط، 1997م.

18 –السكاكي(أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي): مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

19 –ابن سينا (الشّيخ الرئيس أبي عليّ الحسن بن عليّ بن سينا): القانون في الطب ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

20 –أبو عبد الرحمان السّلمي: طبقات الصوفية، تح: أحمد الشرباصي، دار الشعب، ط 2 1998م.

21 –ابن القيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي): روضة المحبين ونزعة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م.

22 -أبو نصر الطّوسي: اللُّمع، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، د. ط، 1960م.

23 -الكتبي (محمد بن شاكر): فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، م 1، دار صادر بيروت لبنان، د. ط، 1973م.

24 -محسن الأمين: أعيان الشيعة، تح: حسن الأمين، م 3، دار المعارف، المطبوعات بيروت، لبنان، د.ط، 1983.

25 -المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي): مروج الذهب ومعادن الجوهر تح: كمال حسن مرعي، ج3، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

26 -محمد مهدي الحائري: شجرة طوبى، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط1، 1378هـ.

27 -محي الدين بن عربي: الفتوحات المكية، السفر 4، تح: عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م.

28 -النيسبوري: عقلاء المجانين، تح: عمر الأسعد، دار النّفائس، بيروت، لبنان، ط 1 1987م.

2-المعاجم:

1 -أحمد مطلوب: معجم المصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

2 -الجرجاني (علي بن محمد بن علي): كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، د.ط، د.ت.

3 -الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف): معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د.ط، 1413هـ.

4 -قيس كاظم الجنّابي: معجم المجانين من الشعراء، دار الآفاق العربية القاهرة، مصر ط1، 2007.

5 -محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1999م.

6 -ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

3-المراجع:

1 -إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952م.

2 -أبو علاء عفيفي: التصّوف الثورة لروحية في الإسلام، دار الشعب، بيروت، لبنان د.ط، د.ت.

3 -أحمد حسن الزّيات: تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د.ط، د.ت.

4 -أحمد خصخوصي: الحمق والجنون في التراث العربي إلى أواخر القرن الرابع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

5-أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1991م.

6-أحمد مؤمن: الّسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005م.

7-أدهم شرقاوي: وإذَا الصُّحُفُ نُشرَتْ، دار الكلمات للنشر والتوزيع، الكويت، ط1 2018.

8-أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تد: يوسف الصميلي مكتبة المصرية، صيدا، بيروت، د.ط.

9-شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11.

10-فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ط4، 1997.

11-عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج 3، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط10، 1999م.

12-محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.

13-مصطفى محمود: عصر القرود، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، د.ت.

14-ناصر الباقري البيد الهندي: بهلول ومواقفه المشرفة، دار الشّهيد، د.ط، د.ت.

4-الكتب المترجمة:

1-أندريه لالند: العقل والمعايير، تر: نظمي لوقا، الهيئة المصرية، الهيئة المصرية للكتاب، د. ط، 1979.

2- دوستويفسكي: حلم رجل مضحك، تر: ثائر زين الدين، مكتبة وصال العرب، د.ط د. ت.

3- دوستويفسكي: مذكرات القبو، تر: أحمد الويزي، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014م.

4-دوستويفسكي: المراهق، تر: سامي الدروبي، ج2،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

5- كلود كيتيل: تاريخ الجنون، تر: سارة رجائي يوسف وكريستينا سمير فكري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

6-ميشال فوكو: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

7-هوميروس: الإلياذة، تر: دريني خشبة، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، مصر ط1، 2014م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع **الصفحة**

الإهداء

شكر وتقدير.

مقدمة.....أ-ج

المدخل:المجنون و عصره.....6-15

1_ نظرة عامة حول العصر العباسي 6

2_المظاهر السياسية و الاجتماعية و تأثيرها على الأدب.....6

3_الأنواع الأدبية المتراجعة و الأسباب المؤدية إلى ذلك.....7

4_عقلاء المجانين و أدبهم.....8

5_التعريف بالمجنون.....9

أ_تعريفه و نسبه.....9

ب-مولده و نشأته 10

ج-مكانته.....11

د-جنونه.....11

6_مفاهيم و مصطلحات حول 12

أ-الجنون.....12

ب-الهوى.....13

ج- التصوف.....14

د- العقل.....15

الفصل الأول : بصمة عقلاء المجانين في الأدب القديم.....17-33

أولا: نشأة أدب عقلاء المجانين و أسبابها 17

1-نشأة أدب عقلاء المجانين 17

أ-العصر الجاهلي.....17

فهرس الموضوعات:

ب-صدر الاسلام.....18

ج-العصر الأموي 19

د-العصر العباسي.....19

2-أسبابه.....20

أ-الأسباب الدينية.....21

ب-الأسباب السياسية.....22

ج-الأسباب الإجتماعية 23

ثانيا:ضروب عقلاء المجانين 24

أ-الأدب.....24

ب-الدين.....26

ثالثا:القيمة العلمية لهذا الأدب و نظرة النقاد له.....29

أ-القيمة العلمية لأدب عقلاء المجانين.....29

ب-نظرة النقاد له.....31

الفصل الثاني: مضامين أدب بهلول بن وهب وخصائصه.....34-70

أولا: مضامين الأدب في الشعر والنثر.....35

1-الوعظ والإرشاد.....35

2-الموت والفناء.....36

3-الفقر والرزق.....37

4-القضاء والعدل.....39

5-الحياء.....40

ثانيا: تجليات الجنون والعقلنة وأغراضها.....41

1-تجليات الجنون والعقلنة في سلوك الأديب.....41

2-أغراض الجنون والعقلنة عند بهلول.....42

فهرس الموضوعات:

ثالثا: خصائص أدب بهلول بن وهب.....49

1: من حيث اللغة.....49

أ-الشعر.....49

ب-النثر.....50

2-من حيث الأسلوب.....52

أ- الشعر.....52

أ-1-الأساليب الخبرية.....52

أ-2- الأساليب الإنشائية.....53

ب- النثر.....55

ب-1- الأساليب الخبرية.....55

ب-2- الأساليب الإنشائية.....55

3-من حيث الصور البيانية.....57

أ-الشعر.....57

ب- النثر.....59

4- من حيث الموسيقى.....60

أ- الشعر..... 60

أ- 1- الموسيقى الخارجية..... 60

أ-2-الموسيقى الداخلية..... 63

ب- النثر..... 68

ب-1- الموسيقى الداخلية..... 68

الخاتمة.....72

الملخص.....74

قائمة المصادر و المراجع.....77

فهرس الموضوعات..... 83